القسم الأول

obeikandl.com

« رؤيـــا »

رأيتني مسافراً من حلب إلى دمشق ، فتوقفت السيارة في حمص ، ونزلت منها ، وقمت بجولة فرأيت أسواقها جميلة جداً ، وأوحي إلي أن حمص هي أيضاً مدينة السويداء . . ثم دخلت مطعماً وأردت أن آكل فقدم إلي سمك أسود كثير الحسك طلب فيه البائع ثمناً مرتفعاً تعذر علي دفعه . ثم أقبل رجل درزي شاركني في دفع ثمن الطعام فأكلت ثم خرجت متأخراً ، وخفت أن تسافر السيارة دوني وتتركني فجعلت أركض فواجهني تل رملي تسلقته بصعوبة بالغة ، وكان في أعلاه جنود أرادوا منعي لكنني رجوتهم فسمحوا لي . ثم شرعت أبحث عن السيارةالتي كانت من نوع (بولمان) فما وجدتها ، ووجدت سيارات أخرى عديدة غيرها طلب سائقوها أجر نقلي إلى دمشق عشر ليرات ، وهو أجر يعادل أجر السفر من حلب إلى دمشق . وخلال هذا وجدت سيارتي فأسرعت إليها وركبتها واحتللت مقعدي . . لكن المرأة التي كانت جالسة عن شمالي من قبل جلست عن يميني . ثم نظرت تحت مقعدي وتلمست مكان حقيبتي فوجدتها حيث وضعتها وفيها ثوب صوفي واحد . . وتابعت الرحلة .

التأويـــل

السفر رحلة العبد المؤمن في هذه الدنيا . والوصول إلى حمص هو الوصول إلى مقام القلب إذ القلب في الصدر ، والصدر هو وسط بين الرأس وأسفل الجسم . ويؤكد هذا المعنى أنه أوحي إلي أن حمص هي مدينة السويداء ، والسويداء تصغير سوداء ، والمدينة تقع في منطقة من الحجر الأسود ، والحجر الأسود كائن في الكعبة التي هي مقام القلب عند المتصوفة ، كما أن إسم سويداء ذاته يشير إلى سويداء القلب . وهكذا جمع بين مدينة حمص التي تقع في منتصف المسافة الفاصلة بين حلب ودمشق .

ومقام القلب يأتي فوق حال النفس لقوله تعالى : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) .

أما تجولي في الأسواق وإعجابي بها فالتأويل أن الأسواق هي الخواطر ، إذ السوق تحوي من كل صنوف البضائع ومن جميع الألوان ، وكذلك خواطر القلب لها ضروبها وألوانها ؛ والمعنى أن المؤمن إذا وصل مقام القلب أيقن بأن الخواطر كلها من الله تهجم على القلب بإذنه . وأما دخول المطعم وطلب الطعام فتأويله طلب العلم ، إذ غاية وجود المؤمن في هذه الدنيا هي التعلم . والسمك الأسود رمز للنفس الحيوانية التي ينزل القلب إلى مستواها منذ تعلقه بالبدن . وإذا كان البدن ظاهر الانسان فإن النفس الحيوانية داخله . وأما حقيقته فهي قلبه الذي حشر في قفص النفس ودل على ذلك وجود الحسك في السمك . وتأويل طلب البائع سعراً مرتفعاً أن القلب يعاني كثيراً من جراء سجنه في قفص النفس للتعلم . . إذ النفس مركز الشهوة والغضب وكلاهما غريب عن طبيعة القلب الذي هو في أصله جوهر لطيف مقدس نوراني يأبى طبيعة نار النفس الحيوانية . وقدوم الدرزي معناه الوصول إلى مقام التوحيد ، إذ عرف الدروز باسم الموحدين ، ومشاركته في دفع ثمن الطعام معناه أن لا خلاص للعبد من أسر نفسه التي هي النار إلا بمدد علوي يوصله إلى مقام اليقين .

وأما ظهور التل ومحاولة تسلقه فهو وصف لحالة السالك في مجاهداته خلال الأربعين يوماً المدعوة بالخلوة عند المتصوفة ، وفيها يواظب السالك على الصوم والصلاة والذكر وقيام الليل حتى يسفر نور الصبح عن بلوغ مقام اليقين . ووجود الجنود في رأس التل معناه استشراف السالك عالم السماء ، إذ الجند هم قوى الملكوت السماوية يحفظون مقاليد السماء والأرض كقوله تعالى : (ولله جنود السموات والأرض) . والجند يمنعون سكان الأرض من الوصول إلى عالم السماء وهو عالم المعاني والأسرار الغيبية إلا لمن أذن له ربه كقوله تعالى : (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) . وقوله : (لايسمعون الى الملأ الأعلى) . وبحثي عن السيارة التي كنت أركبها وكانت من نوع بولمان فما وجدتها ووجدت سيارات أخرى ، فالبولمان كناية عن الخاص ، أما السيارات الأخرى فللعوام . وإضاعة البولمان تحيّر السالك خلال مجاهداته الشديدة وهو يطلب أن تفتح له سماء

الرحمة أبوابها . ووجود السيارات العامة إشارة إلى عالم العوام غير المختارين المحكومين من قبل حواسهم العشر الظاهرة والباطنة . ولهذا طلب أصحاب السيارات أجر النقل عشر ليرات . والحواس الظاهرة خمس هي الشم والبصر واللمس والذوق والسمع ، والحواس الباطنة خمس هي الحس المشترك مركز تجمع الحواس والظاهرة ثم الذاكرة والخيال والفكر والحدس .

وقولي إن هذا الأجر يعادل أجر نقلي من حلب فمعناه أن العوام رحلتهم محدودة بين القلب الذي هو مستودع الصفة والنفس ذات القوتين الشهوية والغضبية وليس للعوام أن يخرجوا من هذا الأفق النفساني المسمى بجهنم أو النار .

وقولي ثم وجدت سيارتي فأسرعت ، فالسيارة الخاصة الوصول إلى فلك نوح الذي نجّى الله به عباده الذين اصطفى ، والفُلك طفا فوق بحر الهيولى المادية لما طغى الماء وفار تنور القوى المادية . واحتلالي مقعدي إشارة إلى المكانة التي خُص بها الروح منذ الأزل برحمة منه تعالى ، إذ الأرواح طبقات ولها منازل . والمرأة إشارة إلى نفسي الحيوانية التي قيدت تقييدا شديدا خلال فترة الخلوة وشدد عليها وحبست قواها فوهبت لي من جديد لأستفيد بقواها في عيشي . وجلوسها عن يميني إشارة إلى أن هذه النفس قد طيعت وسلس قيادها فلم يعد يخشى علي من قواها كالغضب والشهوة . ففي هذا المقام سعة كما قال الشيخ الأكبر ، وصاحبه يستطيع أن يستمتع بطيبات الحياة كما تأتيه .

ونظري إلى تحت مقعدي حيث وجدت حقيبتي وفيها ثوب صوفي واحد . فالحقيبة الذاكرة والثوب الواحد هو الدين كما تأول عليه السلام في حديثه . والمعنى هنا أن انتقال العارف من دار إلى دار يتم بعناية من ربه الذي يبقيه في رحاب الإيمان ولا يخرجه منه إلى الكفر وإن كان من الممكن أن تعاود روح العارف المتنقلة من بدن إلى بدن دور التعلق بالنفس الحيوانية والانغماس في ملاذها وارتكاب الشرور لكنه يظل في جوهره مؤمناً ، طيب السريرة ، كمعدن الذهب لا يضره اختلاطه بالشوائب من الحصى والأتربة ، حتى إذا بلغ أشده أيقظه ربه فاطلع الغيب فعرف مكانته الأزلية فانكشف غطاؤه فصار بصره حديدا .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في أحد دور السينما بحمص مع أخي واسمه فؤاد وتوقف الفيلم قبل أن ينتهي وساد الظلام فقلت لأخي لابأس فأنا أعرف نهاية الفيلم فلقد شاهدته من قبل ، وفي نهايته يولد لبطلة الفيلم طفل . وخرجنا من السينما ، وبينما نحن في الطريق حلت جدتي واسمها وداد محل أخي ، ووصلنا إلى محل كبير لبيع الأسمدة الزراعية فتحدثت جدتي إلى البائع ، وكان رجلاً شريراً أعرفه . . فلما غادرنا المحل قلت لها لو أخبرتني أنك ستتحدثين إلى صاحب المحل لأعلمتك مسبقاً أنه شرير وصفاته كذا وكذا . وعاد أخي فؤاد فحل محل جدتي ، ووصلنا إلى ثكنة عسكرية وقصدنا مستودعاً وجدنا فيه جندياً برتبة رقيب قال إنه أعار امرأة عشرة مخازن لبندقية فردتها بعد حين ولما تفحصها وجد مخزناً منها قد استرخى نابضه . ولامه ضابط كان في المستودع على مافعل . ثم خرجنا من الثكنة فقال أخي : لن نبيت في حمص وسنغتنم الفرصة ونعود إلى دمشق . . وعثر أخي على سيارة صغيرة استوقفها فوجد فيها محلاً واحداً شاغراً ، ولكن السائق استعار كرسياً لي وضعه بجانبه وأجلسني ونظرت حولي فوجدت نسوة محجبات . وسارت السيارة ولما وصلت آخر صف من أبنية المدينة اشترى أخي من بائع هناك خياراً لنتعشاه مع جبن ثم تابعنا سفرنا .

التأويـــل

قلنا حمص هي القلب ، ودار السينما إشارة إلى الدار الدنيا لأن ما يعرض فيها من صور شبيه بما يعرض في الدنيا من صور مظاهر الصفات والمظاهر صور .

وقولي لأخي اني اعرف نهاية الفيلم وان بطلته تضع طفلاً معناه أن روح العارف تمر بمرحلة الخلوة ذاتها في كل ظهور لها . والظلام إشارة إلى موت النفس والطفل إشارة إلى ولادة جديدة تدعوها الصوفية باليقظة .

وحلول جدتي محل أخي واسمها وداد ، والوداد من الود ، إشارة إلى تظليل العناية الإلهية لصاحب الخلوة ووقوع الاختيار عليه ليكون عارفاً بسابقة حسنى

كقوله تعالى : (أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) . والاختيار تم في الأزل ، إذ الله سبحانه الرافع الخافض . وفي الحديث أن رجلين من مزينة أتيا رسول الله عليه السلام فقالا : يارسول الله ، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق ، أو فيما يستقبلون به أتاهم به نبيهم وتثبت الحجة عليهم ؟ فقال : لا ، بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم ، وتصديق ذلك في كتاب الله : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) . وعندما اشتد حزن النبي عندما لم يجبه كثير من الناس إلى دعوته وبخاصة عمه أبو طالب نزل قوله تعالى : (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله) .

ووصولنا أنا وجدتي إلى محل صاحبه شرير معناه الوصول الى مقام كشف الصفات ، وفي هذا المقام سر لا يجوز البوح به لأحد .

وقال الامام محمد بن عبد الجبار النفري : ياعبد ، لا إذن لك ثم لا إذن لك ثم سبعون مرة لا إذن لك أن تبوح بما استودعتك من أسرار حروفي وأسمائي ولا كيف تدخل إلى خزانتي ولا كيف تقتبس من الحروف حرفا بعزتي وجبروتي ولا كيف تراني . وقال شاعر :

من باح بالسر كان القتل شيمته　　من الرجال ولم يؤخذ له ثأر

وقال آخر :

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم　　وكذا دماء البائحين تباح

وقال الشيخ الأكبر : العاشق إن سكت هلك والعارف إن لم يسكت هلك . ومجمل ما يمكن أن يقال ههنا أن التوحيد جامع الأضداد . ولقد اتهم ابن القيم الجوزية المجوس بالشرك لأنهم نادوا بإلهين : إله النور وإله الظلام ، ونسبوا إلى الأول الخير وإلى الآخر فعل الشر ، فجعلوا للكون إلهين وهذا شرك عظيم .

وتأويل كون المحل لبيع الأسمدة وكون صاحبه شريرا أن الشر ملح الأرض ، وأن الظلام الوجه الآخر للنور ، وأن الصفات كلها لله سبحانه جبار السموات والأرض ما كان كان بأمره . وقال الإمام علي كرم الله وجهه في دعائه : جبار القلوب على فطراتها : شقيها وسعيدها .

وأما عودة أخي فؤاد فمعناه العودة إلى مقام القلب الذي شارف مطالع نور الذات ، إذ الفؤاد الوجه من القلب الذي استشرف نور الذات . ومخازن البندقية التي أعارها الجندي للمرأة إشارة إلى القوى الملكوتية المدبرة أمر العالم المادي . . والمخازن ذاتها الحواس العشر ، ومعنى إعادة المخزن العاشر وقد استرخى نابضه ظهور الفساد في الكون كقوله تعالى : (ظهر الفساد في البر والبحر) . وكسؤال الملائكة عز وجل : (أتجعل فيها من يفسد فيها) ، وجوابه سبحانه : (إني أعلم مالا تعلمون) . وهو تأكيد على أن غايته سبحانه في خلق الفساد تعريف العباد بأسمائه من خلال الصفات ذات الأضداد ؛ ويؤكد هذا قوله تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها) . والمرأة التي أعارها الجندي المخازن هي الدنيا التي ظهر فيها الخير والشر والنور والظلام .

وخروجنا من الثكنة فالثكنة عالم السماء أي عالم المعاني أو المعقولات . ورفض أخي المبيت في حمص رغبة السالك الذي اجتاز مقام كشف الصفات في متابعة السير لبلوغ مقام كشف الذات . والسيارة سفر جديد . والنسوة المحجبات في السيارة حجاب العز والكبرياء الذي احتجب الله به عن الخلق ، واحتجابه بالصفات ، إذ الصفات مؤنثة كالنسوة . والكرسي الذي قدمه السائق لي العرش الذي صار قلب العارف مثل وسعه . وأنشد العارف الكوني سيد وقته عبد القادر الجيلاني .

القلب عرش الله ذو الإمكان هويته المعمور في الإنسان
فيه ظهور الحق فيه نفسه وعليه حقا مستوى الرحمن
خلق الإله القلب مركز سره ومحيط دور الكون والأعوان

والسائق الذي يقود السيارة إشارة إلى تجرد العارف عن الحول والطول وركونه إلى ربه في الخطرة والحركة ويقال لصاحبه مجذوب . وقال عليه السلام لما بلغ هذا المقام : اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو ، وأصبح الأمر بيد غيري ، وأصبحت مرتهناً بعملي ، فلا فقير أفقر مني . اللهم لا تشمت بي عدوي ، ولا تسيء بي صديقي ، ولا تجعل مصيبتي في ديني ، ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا مبلغ علمي ، ولا تسلط علي من لا يرحمني .

ووصول السيارة إلى آخر صف من الأبنية خلاص القلب من العالم الدنيوي وتجلي عالم المعقولات المحضة أو ما يدعى في الفلسفة بالتجريد ، وتتمثل المعقولات في بذور الخيار البيضاء المائلة إلى الخضرة ، والتي ضمتها القشرة الخضراء وهي كناية عن نور الذات الإلهية خالقة الأسماء الحسنى ولها الصفات (الجزئيات) والأفعال (حركة الطعام) .

*

« رؤيـــا »

رأيتني أمشي على سكة قطار بمدينة حمص ، وفجأة خرجت عن السكة متجنبا قطاراً كاد يصدمني . ثم وصلت إلى مطار فالتقيت فيه بزميلين لي أحدهما كنيته نجار أراد أن يرد لي ديناً عليه قدره عشر ليرات فأبيت . . أما الآخر فاسمه محي الدين الصالح . وركبت الطائرة مع محي الدين فطارت بنا . ثم وجدتني أمام مدرسة (اللاييك) وأمامها سيارة كبيرة سياحية وقفت بجانبها سائحة أجنبية طويلة شقراء حمراء الوجه أشارت إلى السيارة وقالت : سأترجم كتاب إحياء علوم الدين للغزالي والكتاب في السيارة . ومشينا بحذاء سور المدرسة فإذا رجل يسألنا أين يقع المطبخ في المدرسة . ثم وجدتني بعد ذلك في غرفتي ببيتي ومعي زوجتي واسمها سميرة ، فدخلت علينا أختها واسمها منيرة حاملة صبياً لها عاجزاً اسمه ابراهيم فكلمته زوجتي باللهجة العراقية ، وكانت منيرة متزوجة من عراقي ومقيمة بالعراق . ثم أخذت زوجتي ابن أختها ووضعته في حضنها .

السكة الصراط وحمص القلب فالصراط هنا صراط الذين أنعم الله عليهم ، أما القطار الذي كاد يدهسني فهو صراط المغضوب عليهم وهو النفس الأمارة .

ووصولي إلى المطار هو مقام اليقين ، إذ المطار أرض ممهدة معبدة معدة لاستقبال الطائرات . وهذا يشبه حال السالك المجاهد الذي طهر قلبه وجعله مهيئاً لاستقبال الأنوار . ورفضي استرداد الدين الذي كان لي على زميلي معناه حجري على حواسي العشر خلال فترة الخلوة . فكنية زميلي النجار ، والنجارة حرفة مادتها الأخشاب ، والخشب شجر ، والشجر أصله في الأرض وفرعه في السماء ، والشجرة الملعونة التي حذر الله آدم الاقتراب منها هي شجرة الحواس . فالحواس الظاهرة تعين على افتتان الإنسان بالعالم الدنيوي ومباهجه ، والحواس الباطنة تبعث على الشك وتثير الخيالات الذميمة والوساوس الشيطانية ، وصاحبها وإن كان مؤمنا لا يسلم من أذى خواطره وشكوكه . ولهذا كان من أولى واجبات السالك في مرحلة الخلوة حبس هذه الحواس وهجر عالمها طوال أربعين نهارا وليلة يداوم فيها على الصيام والقيام حتى يضعف جسمه وتكل حواسه فينجلي قلبه من صدئه ويصبح صالحاً لتلقي الأنوار . ثم تشرق أنوار اليقين وهذا هو تفسير ركوبي الطائرة مع زميلي محي الدين . فاسم محي الدين هو عين اليقين ، والطائرة عروج في عالم السماء أو عالم المعاني أو عالم الغيب ، والعروج معراج وإسراء . والغاية الاطلاع على أسرار الغيب وتعلم علم الإشارة وهو علم التأويل ، كما قال سبحانه في سورة يوسف : (وعلمناه تأويل الأحاديث) . والسورة كلها عبارة عن رؤيا يقصها يوسف عليه السلام على أبيه ثم يعيشها في عالم الواقع حتى ليعلن في ختام السورة : قد جعلها ـ أي الرؤيا ـ ربي حقا .

وكلام الله ليس بصوت ولا حرف ، وكلامه أبدي أزلي قديم ، وهو يتحول إلى حروف بتنزله من عالم الأنوار في صور الأسماء الحسنى التي علم الله آدم . فالله نور محض لا يرى ، وما صدر عن نوره من أنوار وعوالم كان على درجات . فأول ما صدر عنه العقل الأول الذي هو روح الأرواح وملك الملائكة المسمى جبريل ،

وجبريل يتمثل صوراً في اليقظة والرؤيا . ونحن نخص الرؤيا بهذا الحديث لأنها صاحبة الخيال الصحيح الذي قال فيه الشيخ الأكبر في الفتوحات : الاستشراف على حضرة الخيال الصحيح الذي لا يدخله ريب ماهو الخيال الذي هو قوة في الإنسان في مقدم دماغه بل هو خيال كجبريل في صورة دحيه ، وهو حضرة مستقلة وجودية صحيحة ذات صور جسدية تلبسها المعاني والأرواح .

وجبريل تمثل في الرؤيا بصورة سائحة حسناء بيضاء حمراء الوجه أرادت أن تترجم كتاب الإحياء أمام مدرسة اللاييك . واللاييك كلمة فرنسية تعني العلماني . فالعبد هنا سيعلم تأويل الأحاديث . وهذا معنى سؤال الرجل عن مكان المطبخ في المدرسة . وقد قال الإمام النفري في فصل بعنوان (مايقوله الله لعبده) : تعرفي إليك بعبارة توطئة لتعرفي إليك بلا عبارة . وقال أيضا : كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة . ومقام التعرف إلى العبد بالعبارة هي المرحلة التي نزل فيها جبريل بالقرآن على النبي عليه السلام . . أما مرحلة التعرف بلا عبارة فهي مرحلة التأويل التي صار النبي يؤول فيها الأحلام كقوله : بينا أنا نائم رأيتني أتيت بقدح فشربت منه حتى أني أرى اللبن يخرج في أظافي ، ثم أعطيت فضلي عمر . قالوا : فما أولت ذلك يارسول الله ؟ قال : العلم . وقال أيضاً : بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قُمُص منها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره . قالوا : فما أولت ذلك يارسول الله ؟ قال : الدين . وقال أيضا : رأيت كأني أنزع على غنم سوداء إذ خالطها غنم صفر ، إذ جاء أبو بكر فنزع ذنوبين (الدلو العظيمة) وفيهما ضعف ويغفر الله له ، إذ جاء عمر فأخذ الدلو فاستحالت عربا (الماء الكثير الصافي) فأردى الناس وصدر الشاء فلم أر عبقريا يفري فري (يأتي بالعجيب الغريب في أعماله) عمر ، فأولت أن الغنم السود العرب وأن الصفر إخوانهم من هذه الأعاجم .

ومرحلة التأويل من أهم مقامات الصوفية وأخطرها سماها الشيخ أرسلان بالفناء وفيها يحدث الكشف وهو تمام المعرفة . وفي الكشف يتبين العارف أنه (هو) بلا (أنت) معه ، وأن العالم هو مظاهر أسماء الله الحسنى ، وأن الأسماء لله ، وأن إضافة الأسماء إلى بعضها بعضا هي وضع النقاط على الحروف في هذا العلم الذي هو بحر الحقائق .

والأسماء هي التي تتبادل الأحاديث في المنامات كما يقع في المنامات العادية مع فارق واحد ألا وهو إدراك العارف أن ما يراه هي رؤى فوقية ، وأن ما نقش في القلب المحفوظ قد برز إلى عالم الرؤيا فرآه بعين بصيرته . ويدرك العارف أن الله المتجلي بسر أسمائه يراه ويسمعه ، ومن جملة علمه به أنه مطلع على أدق أسراره ، وأنه يعلم مدى نجاحه في تأويل أسرار الرؤيا التي أراه إياها . وكالعصفورة الأم التي تعلم فرخها الطيران بإلقائه من شجرة ثم الإسراع في التقاطه قبل أن يقع على الأرض كذلك ما يزال الله بالعبد يعرض عليه علوم الكشف في الرؤيا تلو الرؤيا حتى ينجح العارف في التوصل إلى كشف حقيقة المراد من المثل المضروب في الرؤيا . وعندما تفشل جميع السبل في إماطة اللثام عن سر من الأسرار تم عرضه بواسطة عرض سر الأسماء كإضافة اسم محي الدين إلى صلاح الدين أو رشاد ـ أي العقل ـ إلى نوال ، أو رشاد إلى ماهر ، فعندئذ يلقي الله إلى عبده كلمة أو كلمات يتم بها الكشف عن المراد الحقيقي من ضرب الأمثال .

فكاتب هذه السطور ما أتى بشيء من أسرار هذا العلم من عنده . ولقد ظللت زمنا أؤول السيارة على أنها الوصول إلى مقام الجمع فإذا بي ذات ليلة أرى سيارة واقفة في ميناء ، ثم سمعت صوتا يقول هذا فلك نوح ، فعلمت أن الله أراد أن يضرب السيارة مثلا على فلك نوح . كما ظللت زمنا أؤول الطريق المعبد بالاسفلت على أنه الصراط فإذا صوت يقول لي يوما وأنا أركض على الطريق في الرؤيا بأن الطريق الوصول إلى مقام اليقين الذي يتقي فيه العبد نار النفس الأمارة أو الحيوانية .

وناحية أخرى تجب الإشارة إليها في مجال الحديث عن علم التأويل باستخدام سر الأسماء الحسنى وهي ضرورة التتلمذ على شيخ علامة متصوف عارف بالله لكي يسهل الأمور على السالك عندما يلج عوالم هذه الأسرار . فإن لم يكن للسالك شيخ فإن كتب الصوفية وبخاصة كتب الأعلام الكبار تعين في هذا المجال . ولا ينبغي للسالك أن يتعجل كشف كل ما يخطر على باله ، فلهذا العالم منازل ودرجات ، وهو صفوف كصفوف المدارس وللدراسة فيه شهادات . . وأيما خرق أو قفز قد يسبب بلبلة في صفوف هذا النظام المسمى علم التأويل .

هذا الحديث كله هو ما عبر عنه في الرؤيا بالمطبخ . ففي المطبخ يطهى الطعام ، والطعام يتألف عادة من مواد أولية ، ففيه يستخدم اللحم والخضار والملح والبهارات والأرز والبرغل وما شابه . والطهي يتم على مراحل ، ويمكن تأويل استخدام ألوان الخضار باستخدام الصفات التي هي جوهر الأسماء فحمرة البندورة إشارة إلى النفس الحيوانية ، وخضرة الخيار والخس وورق العنب إشارة إلى النور الجامع ، وبياض الطحين إشارة إلى مقام كشف الصفات ، والكوسا المحشوة بالأرز إشارة إلى الكليات أو الجوامع المحتوية على الجزئيات أو الظواهر .

والعارف المستغرق في سبر أغوار هذه البحار يعلم علم اليقين أن الله أقرب إليه من حبل الوريد ، في هذا القرب أنشد الحلاج :

عجبت منك ومني يامنية المتمني
أدنيتني منك حتى ظننت أنك إني
وغبت في الوجد حتى أفنيتني بك عني

فهو سبحانه قريب لا بمعنى المكان ، حاضر لا بمعنى الزمان ، سميع بصير عليم بلا حواس ، لا هو شيء فيشار إليه ، ولا هو لا شيء فلا يستدل عليه . خلق الانسان ، علمه البيان ، وفضله على الملائكة لعظم ما حمله من علم لدني رباني ، أشار إليه سبحانه بقوله : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) .

*

« رؤيـــا »

رأيتني راكباً سيارة خضراء مرت بحديقة ابن هانيء ، ثم تابعت سيرها حتى وصلت إلى بيتي ، وهناك وجدت قريبة لي كنيتها رمضان فأشارت إلى زميل لي اسمه رشاد كان جالساً قربنا وقالت : ألا يزال هذا الرجل متكبراً معتداً بنفسه مغروراً مزهواً بماله ؟

ركوب السيارة الخضراء إشراق نور الهداية الحقانية ، واللون الأخضر رمز لنور الروح الساري في الوجود كله . والمرور بالحديقة مرور بجنة التوكل والرضا التي يدخلها كثير من الخلق فلا يجاوزونها إلى ما بعدها من مقامات . وقد أشار الرسول عليه السلام إلى وجود جنات عديدة ، وذلك في حديثه إلى أم حارثة لما استشهد ولدها فقالت : يارسول الله ، إن يكن في الجنة لم أبك ولم أحزن وإن يكن في النار بكيت ما عشت في الدنيا . فقال : يا أم حارثة ، إنها ليست بجنة ولكنها جنة في جنات ، والحارث في الفردوس الأعلى . والجنان على ما ذكره ابن عباس سبع : جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلود وجنة المأوى ودار السلام وعليون . والفردوس الأعلى هي الغرفة أو القصر كما قال سبحانه : ٠ (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا) . والغرفة البيت المعمور في السماء ، وإليها أشير في الرؤيا بوصولي إلى بيتي . فالبيت إشارة إلى البيت المحرم ، والبيت المحرم في الأرض يقابله البيت المعمور في السماء حيث يدخله سبعون ألف ملك كل يوم فلا يخرجون . والبيت مقام الجمع عند الصوفية أو عين الجمع ، ويبلغه السالك في ليلة القدر الواقعة في السابع والعشرين من رمضان . وإلى هذه الليلة أشير في الرؤيا بوجود قريبتي التي كنيتها رمضان في البيت .

ورشاد الرشد أو العقل ، واتصافه بالكبرياء والغرور والزهو والاعتداد فذلك لأن العقل كثير التباهي بقواه يعتمد عليها في تحصيل العلوم والانتهاء إلى المعقولات المجردة من خلال تأمل المحسوسات ، وباستخلاص صور المثل الجامعة بعد رؤية صورها المجسدة في عالم التعينات والمشخصات .

هذه هي حدود العقل التي كان أفلاطون فيلسوفها المبرز . ولكن ثمة حدوداً اخرى تقع وراء حدود العقل وهي الحدود التي تنفتح عليها ليلة القدر وتطلع العارف على أسرار عالم الغيب فيعلم المستقبل وسر الخير والشر والقضاء والقدر وهل الانسان مسير أم مخير . ولا قبل للعقل على كشف هذه الأسرار المسماة بالعلم اللدني ، وإليه أشار تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) وطفر حائط العقل مرتبط

برؤية ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، تنزل ملائكة الصفات وروح النور القدسي فيها بإذن ربهم من كل أمر من الأمور التي أعدها الله لأوليائه المصطفين الذين اختيروا ليطلعوا الغيب ثم يعودون إلى الناس يدعونهم إلى التوحيد الذي هو خلاصة الأديان . وقال القشيري : العلم اللدني هو الذي ينفتح في بيت القلب من غير سبب مألوف من الخارج ، وللقلب بابان : باب إلى الخارج يأخذ العلم من الحواس وباب إلى الداخل يأخذ العلم بالإلهام . فمثل القلب كمثل الحوض الذي يجري فيه أنهار خمسة فلا يخلو ماؤه عن كدرة مادام يحصل ماؤه من الأنهار الخمسة بخلاف ما إذا خرج ماؤه من قعره حيث يكون ماؤه أصفى وأجلى فكذا القلب إذا حصل له العلم عن طريق الحواس الخمس الظاهرة لا يخلو عن كدرة وشك وشبهة بخلاف ما إذا ظهر من صميم القلب بطريق الفيض فإنه أصفى وأولى .

*

« رؤيـــا »

وجدتني أنا وزوجتي سميرة في سيارة فجاء إلينا الجابي فقال : ياأستاذ ، إن تلامذة لك يجلسون في المقدمة وهم لا يملكون نقوداً فأخرجت دراهم دفعتها إلى الجابي متسائلاً بيني وبين نفسي وكيف علم أني أستاذ وأن هؤلاء تلامذتي ؟

التأويـــل

وجودي أنا وزوجتي معاً هو ما أشار إليه الإمام الغزالي بالأسماء المضافة . فسميرة السمير وسمير الانسان فكره وقد يكون ضميره . وحديث الجابي إلي ونعته إياي بالأستاذ إشارة إلى أني من الموحدين السابقين الذين يحتلون المراتب الأولى من الأرواح .

وجلوس التلاميذ في المقدمة إلى جانب السائق إشارة إلى أنهم من المقدمين . ووجودي معهم في السيارة معناه أننا جميعاً قد علمنا مالم نعلم وأن الفضل في ذلك لله

وحده . والسائق جبريل أو العقل الفعال الأول في ملكوت السموات والأرض . والنقود التي أعطيتها للجابي هي العلم ، وافتقار التلاميذ إليها حاجتهم إلى علوم التوحيد ، والتوحيد هيأ الله له أقطابه وأعلامه ليهدوا خواص الناس إليه .

وقال الفارابي في صفات الرئيس : لا يبلغ هذه الدرجة إلا إذا اجتمعت فيه اثنتا عشرة خصلة قد فطر عليها :

- أن يكون تام الأعضاء
- أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور جيد الحفظ لما يفهمه ويدركه .
- جيد الفطنة ذكيا .
- حسن العبارة
- محباً للتعليم والاستفادة .
- غير شره في المأكول والمشروب والمنكوح .
- محباً للصدق وأهله ، مبغضاً للكذب وأهله
- كبير النفس محباً للكرامة .
- أن يكون الدرهم والدينار وسائر أغراض الدنيا هينة عنده . .
- أن يكون بالطبع محباً للعدل وأهله مبغضاً للجور والظلم .
- أن يكون عدلاً غير صعب القياد ولا جموحاً ولا لجوجاً . .
- قوي العزيمة ، جسوراً ، غير خائف ولا ضعيف النفس .

*

« رؤيـــا »

رأيتني مع أبي واسمه إبراهيم في حمص ، وكنت أود السفر إلى دمشق بسيارة صغيرة مريحة ، ولكن أبي أبى فتركته ومشيت ، ثم أخذني الندم فأنا أحب أبي . . أحبه حتى وإن لم ينفذ رغباتي ، وحبي له يفوق كبريائي . وهكذا تبعت أبي الذي دخل مطعماً صغيراً ضيقاً مرتدياً بذلة زرقاء ، ولما دخلت في إثره ، رأيته يضع على رأسه طربوشاً أحمر ، وقدم لنا صاحب المطعم خبزاً محشواً بالكبد (السودا) المقلي

فرفض أبي أن يأكله بينما أكلت أنا لشدة جوعي . وغادرنا المطعم لنسافر إلى الصحراء بسيارة كبيرة حيث مقر عمل أبي .

التأويل

وجودي مع أبي إبراهيم إشارة إلى مقام التوحيد الذاتي الذي يبلغه المؤمن بعد انكشاف سر القلب في الخلوة . فإبراهيم خليل الرحمن ، مسلم أسلم وجهه لله .

ورغبتي في السفر إلى دمشق رغبة السالك في رؤية الجنة رأي العين وكذلك الملائكة والحور العين والعالم الآخر ، وهو يمني نفسه بالفوز بسعادة عظمى بعد وصوله إلى مقام اليقين . ورفض أبي تحقيق رغبتي إشارةإلى أن الجنة التي وعد بها المتقون ليست جنة حسية ملأى باللذات وأطايب الطعام والشراب بل هي جنة معنوية ، وإلا فمنذا الذي يفسر لنا ما معنى وصفه تعالى تلك الجنة بقوله :

(وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً، متكئين فيها على الأرائك لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً ، ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً ، ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا ، قوارير من فضة قدروها تقديرا ، ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا ، عينا فيها تسمى سلسبيلا ، ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ، وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيرا ،عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهورا) .

نقول ما الغاية من وصفه سبحانه أهل الجنة بأنهم يجلسون على أرائك متقابلين ، ويسقون من رحيق مختوم ، وكما ورد أيضاً أنهم يأكلون من لحم الطير ومما يشتهون ، ومن هن الحور العين اللواتي يسعين هناك ، إلى آخر ما ورد في القرآن من وصف حسي للجنة . وقد اختلف الناس في هذا الأمر ، وكل منهم رمى فيه بسهم علمه . وقال الشيخ الأكبر إن الجنة هي القرب من الله سبحانه والنار الحجاب والشيطان الشيطنة أي البعد . ولما سئل لم فتنت الناس حين كتبت الفتوحات قال : كتبته للخواص لا للعوام .

وخيبة الأمل في عدم وجود جنة حسية هي التي أشارت إليها سيدة العارفات بالله رابعة إذ قالت : اللهم ما عبدتك حباً في جنتك ولا خوفاً من نارك بل لأنك إله تعبد . وقال الإمام علي : لا تعبد الله لرغبة ولا لرهبة .

والتحاقي بأبي إلى حيث ذهب تعلق العارف بربه لأنه لا يعبده على حرف ، ولأن حبه له يعلو فوق المقاصد والغايات . ودخول أبي المطعم مرتدياً بذلة زرقاء هو انكشاف عالم الآخرة أو السموات أو المعاني . والمطعم مقام الصفات إذ يطبخ فيه الناضج والفج والمالح والحامض والحلو والمر فيخرج الطعام ناضجاً مهيئاً للآكلين . ولقد بلغ المسيح هذا المقام فأعلن أحبوا أعداءكم . . ونقول : أو إرحموهم على الأقل وانصفوهم واعدلوا بينهم . إذ الصفات وأضدادها أو تفصيلها كلها لله . وقال الإمام النفري على لسان الرب تعالى : ياعبد إذا رأيتني في الضدين رؤية واحدة فقد اصطفيتك لنفسي .

وقال : الرؤيا علم الإدامة (الموافقة) فاتبعه تغلب على الضدية . وحكي أن القاضي عبد الجبار الهمزاني دخل على الصاحب بن عباد وعنده أبو اسحق الاسفرايني ، فقال القاضي على الفور : سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال أبو اسحق : سبحان من لا يجري في ملكه إلا مايشاء . فقال عبد الجبار : أفيريد ربنا أن يعصى ؟ فقال له أبو إسحق : أفيعصى ربنا كرها ؟

والطربوش الأحمر الذي كان على رأس أبي إشارة إلى الوصول إلى مقام الروح بعد المرور بمقام القلب والسر . وسبب رفض أبي تناول الطعام المكون من كبد مقلية سوداء معناه تقدس الروح عن التدنس بشوائب الطبيعة الجسمانية . وإقبالي أنا على الطعام إطلالة قلب الانسان على النفس الحيوانية التي رمز إليها بالسودا المقلية كما يطل من جانب آخر على الروح الذي هو مرافقة أبي لي .

ومقام الروح من عالم الجبروت لا الملكوت ، وإليه أشار الأستاذ مصطفى محمود قائلاً : ذات أي شيء متعلقة بذات الله ولكنها ليست هي عين الذات الالهية وإلا نكون بذلك قد قلبنا العين ولفقنا الحقيقة .

قال تعالى : (إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا

له ساجدين) ، أي أن روح ابن آدم هي من روح الله ، لها تعلق بذات الله ولكنها ليست هي هي ، لأن الذات الالهية ليس كمثلها شيء .

وخروجنا من المطعم وسفرنا إلى الصحراء العودة من مقام الجمع الـذي هو مقام القلب إلى مقام التفصيل أو الكثرة أو الخلق للتبشير ودعوة الناس إلى التوحيد . والسفر بالسيارة الكبيرة إشارة إلى العودة التي هي حالة البقاء بعد الفناء . والسفر في الصحراء مكابدة النبي أو الولي الذي فني عن نفسه فقام بالله وتوجـه إلى النـاس يعلمهم تأويل الأحاديث . ومنذ أيام ابراهيم عليه السلام لقي الأنبياء أذى كثـيراً بسبب دعوتهم إلى التوحيد . قال عليه السلام : إن هذا الدين لشديد فأوغلوا فيه برفق . وقال الامام علي : حدثوا الناس بما يعرفونه ودعوا ما ينكرونه أتريدون أن يكذب الله ورسوله . وقد أشار عليه السلام إلى أن الجنة والنار مخلوقتان في زمنه لأنه رآهما ولأنه اطلع على أهل الجنة والنار . ولقد مر ذات يوم حارث بالنبي فسأله : كيف أصبحت ياحارث ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقا . فقال عليه السلام : انظر ما تقول فإن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ قال : كأني أنظر إلى عرش ربـي بارزاً ، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها . فقال عليه السلام : أنت امرؤ نوّر الله قلبه ، ياحارث عرفت فالزم . . وكررها ثلاثا . وقال الضحاك : إن للكافر حفرة في النار يكون فيها ولا يعلم . وسئل الامام جعفر الصادق لما تلي قوله تعالى : (وإن منكم إلا واردها) : وهل أنتم وردتموها ؟ قال : جزناها وهي خامدة .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في شارع النصر ، وللشارع اتجاهان ، اتجاه ذهاب واحد واتجاه إياب واحد . ورأيت أعداداً هائلة من الناس تتدفق في الشارع باتجاه الذهاب . ولقـد مشيت مع الناس حتى إذا بلغت نهايته انعطفت ومشيت باتجاه الإياب حتى وصلت موقف باص المهاجرين الأخضر فركبته فنزلت في موقف الحجاز حيث التقيت صديقاً لي صحفياً أعطاني صحيفة جعلت أقرؤها .

التأويـــل

تدفق الناس في الشارع هم العوام الذين هم ظهور لصفات الله أو تعينّ أسمائه . وسيرهم في الاتجاه الواحد معناه أن العوام لا يعـودون إلى الحياة . إنهـم أمواج البحر تنبثق من بحر الذات الإلهية ثم تتدفق على الشاطىء فتتكسر هناك . والموجة لا تولد في البحر مرتين ولا تحيا إلا حياة واحدة . إنها مخلوقة من عدم وصائرة إلى عدم . وقال الجنيد : من كانت حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه ، ومن كانت حياته بربه فإنه ينتقل من حياة الطبع إلى حياة الأصل وهي الحياة الحقيقية . وقال البيروني : أشارت الصوفية في العارف إذا وصل إلى مقام المعرفـة يحصـل له روحان : قديمة لا يجري عليها تغير واختلاف ، بها يعلم الغيب ويفعل المعجز ، وأخرى بشرية للتغير والتكوين .

وإلى هذا الفـريق رمـزت الـرؤيا بركوبـي باص المهاجـرين الأخضر ، إذ المهاجرون هجرة إلى الله ورسوله ، وهبوطي في موقف الحجاز وصـولي إلى كعبـة القلب حيث التقيت صديقي الصحفي ، والصحفي كاتب الصحائف . وفي هذا المقام يرى السالك أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، ويكون هو من الأعراف .

*

« رؤيـــا »

رأيتني أدوس إبهام قدم رجل اسمه عماد عرف بالقوة ، فجعل يصيح والدم يتدفق من قدمه بينما حملت كرسياً أوشكت أن أسنده إلى قدمه . . ثم وضعت الكرسي أمام خزانة وصعدت عليه وأتيت بمخطوطة لي عنوانها (هالة) ، فجعلت أتصفحها فأخذها صديق لي اسمه أحمد وجعل يدققها .

التأويـــل

العماد الأســاس ، وقــوة هذا الرجــل إشــارة إلى قوى النفس الغضــبية

والشهوية . ودوس قدمه كسر قوى هذه النفس ، وخروج الدم من القدم التي هي ركيزة الجسم هو الموت الأحمر وهو موت النفس الإرادي لا الطبيعي وقال الإمام علي : موتوا قبل أن تموموا . وقال المسيح عليه السلام : لا يدخل ملكوت السموات من لم يولد مرتين .

والكرسي العرش الذي هو القلب . ووضعي الكرسي أمام الخزانة وصعودي عليه إشارة إلى العلم اللدني الذي تدفقت علي فيوضه الالهية بفضل علوم الكشف والذوق . والمخطوطة التي اسمها هالة رمز للأنوار . فالعلم هنا نوراني إلهي بحت ويسمى صاحبه حكيماً إلهياً ، لأن الحكمة الإلهية أعلى منزلة من العلم العملي والنظري لأنها تتحدث عن المغيبات .

والشخص الذي اسمه أحمد هو نور الحقيقة المحمدية صاحبة الحوض التي تتدفق منها الواردات الاشراقية على العارف الغارق في بحرها أو حوضها . والعلم الالهي علم اشارات ورموز ، وقد قال الامام النابلسي في معرض دفاعه عن الشيخ الأكبر : إياكم والانكار على شيء من كلام الشيخ محي الدين ، فإنه رحمه الله لما خاض في بحار المعرفة وتحقيق الحقائق عبر في أواخر عمره في الفصوص والفتوحات والتنزلات الموصلية وفي غيرها بما لا يخفى على ماهو في درجته من أهل الاشارات ، ثم انه جاء من بعده قوم عمي عن طريقه فغلطوه في ذلك بل كفروه بتلك العبارات ، ولم يكن عندهم معرفة باصطلاحه ولا سألوا من يسلك بهم إلى إيضاحه ، وذلك أن كلام الشيخ تحته رموز وروابط وإشارات وضوابط وحذف إضافات هي في علمه وعلم أمثاله معلومة وعند غيره من الجهال مجهولة . وقال الشيخ أرسلان : العارف يفهم رمز الاشارة ويعرف كشف العبارة . وقد قال عليه السلام لأبي بكر لما تأول رؤيا رآها : أصبت بعضاً وأخطأت بعضا . . فسأله أبو بكر أن يعرفه ما أصاب فيه وما أخطأ فلم يفعل .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في شارع مزدحم بالناس يسيرون في عكس اتجاهي وأنا أقاومهم حتى إذا كدت أغلب على أمري رأيت باباً دخلت منه إلى بيت معتم ولكني نجوت بذلك من الزحام . ثم ضاء البيت ورأيت خلفي شخصاً اسمه عبد القـادر كان ينـظف حواف بركة مياهها صافية لألاءة ، وكانت أمه تقف إلى جانبه . ولقد حدثتني الأم قائلة إنها لم تستطع أن تعيش مع كنتها ثم خرجت من البيت فتبين لي أنه يقع في قلب مقبرة . ومشيت في درب طويل والوقت قد قارب الليل حتى وجدتني أمام بيت قديم فيه امرأة أحبها أردت أن أراها فلم أستطع فبكيت ، ثم ركبت سيارة فيها فتاتـان جميلتان ، وقدت السيارة في طريق جبلية وعرة حتى وصلت إلى مكان حفل فيه رقص وغناء ، ونهضت ابنتي جمانة فقلدت المطربة صباح في الغناء فأبدعت .

التأويـــل

الشارع المزدحم بالناس إشارة إلى الكثرة الذين هم حجاب الذات الإلهية ، والمؤمن في هذا الحال دائم البحث عن الله غير المنظور الذي طار إليه شوقه وطال إليه حنينه .

والبيت المعتم الخلوة ، وظهور عبد القادر ظهور الله في اسمه القادر الذي يجلو بركة الماء ، والماء الصافي هو البصيرة التي انجلت وتم تطهير القلب (البـركة) من الشوائب،والمرأة العجوز التي تحدثت عن خصامها مع كنتها فهي الذات الناطقة أو آدم كما جاء في القصة-التي تضاد النفس الحيوانية (حواء) المخلوقة من ضلعها .

وكون البيت في مقبرة فالمقبرة ذات شواهد بيض وتعني الشاهدة أن لا إله إلا الله القائم بذاته والغني عن العالمين والذي له الأسماء أي الصفات والأفعال جميعاً وأن العالم والناس مظاهر هذه الصفات وأن الناس أشباح وصور وتعـين الصفـات لا غير .

وسيري على درب ضيق قرب حلول الظلام فهو وصول العـارف إلى مقـام

الفناء حيث غاب الحق في الخلق وإلى هذا أشار الظلام المنتشر . وتأخذ العارف حيرة في هذا الكشف الذوقي حيث لا يرى أحداً في الوجود معه ولا يرى إلا الله . وقد دخلت السيدة عائشة على النبي عليه السلام وهو في هذا الحال فسألها : من أنت ؟ قالت : عائشة . قال : ومن عائشة ؟ قالت : زوجة محمد . قال : ومن محمد ؟ فعلمت عائشة أن النبي في حال غير عادية فتركته وخرجت .

ووصولي إلى بيت امرأة أحبها الوصول الى مقام المحبة ، وفيه يكاد المحب يهلك شوقاً إلى حبيبه الذي تعجزه رؤيته . وبنار الشوق هذه نظم ابن الفارض قصائده وساح ابن أدهم في البوادي والبراري .

وركوبي السيارة إشارة إلى الرحمة الرحيمية التي تشمل المحب فتنتشله من وهاد شوقه وتوصله إلى جنتي التوكل والرضا المعبر عنهما بوجود فتاتين جميلتين في السيارة . وقيادتي السيارة بدء تمكن العارف من فك أسرار علم الرمز الذي يتوه في بحاره للوهلة الأولى . ووصولي إلى حفلة أجد فيها ابنتي جمانة فوصولي إلى الحقيقة الكاملة . وقال الغزالي في هذا المقام : عثر الانسان على جوهرة نادرة . وجمانة در ، والدر نور . وتقليد ابنتي للمطربة صباح إشراق نور الذات ، إذ الصباح إشراق ، وقد فرضت في صلاة الصبح ركعتان إشارة إلى نور الواحد الأحد الذي انبثقت منه الحقيقة المحمدية المسماة بالروح الكلي السارية في جميع ماهو حي ، وهو ما عبر عنه بالحفل الجامع للجماعة .

*

« رؤيـــا »

رأيت شقيقة زوجتي واسمها منيرة قد وضعت طفلاً في محل حلاق بعد أن أجرى الحلاق لها عملية فقطب الجرح قطبة واحدة ، وكان يرافق منيرة شقيقها واسمه عادل وزوجتي . ولما وُلد الطفل واسمه إبراهيم طاردنا رجال أرادوا انتزاع الطفل منا . . ووجدتني من ثم في أعلى بناء فعمدت إلى حبل فهبطت عليه وهربت بالطفل . وحين وصلت الطريق أسرعت إلى بناء يقع قرب جامع فخبأت الطفل

فيه ، ثم وجدتني مع صديق لي كنيته سلطان وهو أستاذ لمادة الرياضة في مدرسة ابتدائية قال إنه سيقدم امتحاناً في مادته وإنه سينجح بتفوق .

التأويـــل

ولادة إبراهيم من منيرة فيض النور الابراهيمي أو النور المحمدي أو نور كل نبي عن الذات الالهية الممثلة باسم منيرة وهو النور . والقطبة الواحدة معناه أن هذا النور واحد ، وعملية الولادة ترمز إلى الصدور ، صدور ذات من ذات . ووجود عادل إلى جانب أخته عدله تعالى في خلقه هذا النور ذي الجهات ، إذ ذاته تعالى أحدية منزهة عن الجهات والتكثر والتعلق بالصفات . قال الحسين بن منصور : اللهم إنك المتجلي من كل جهة ، المتخلي عن كل جهة ، بحق قدمك على حدثي ، وحق حدثي تحت ملابس قدمك أن ترزقني شكر هذه النعمة التي أنعمت بها علي حيث غيبت أغياري ، كما كشفت لي عن مطالع وجهك ، وحرمت على غيري ما أبحت لي من النظر في مكنونات سرك . وهؤلاء عبادك قد اجتمعوا لقتلي تعصباً لدينك وتقرباً إليك ، فاغفر لهم ، فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لي لما فعلوا ما فعلوا ، ولو سترت عني ما سترت عنهم لما ابتليت بما ابتليت . فلك الحمد فيما تفعل ، ولك الحمد فيما تريد .

والحلاق يحلق الشعر أي يزيل الأثر الطبيعي ، وهو هنا يرمز إلى عالم الروح المحض . أما وجودي في أعلى بناء مع الطفل إبراهيم فإشارة إلى علو النور الوليد أو الروح الكلي عن عالم الإمكان وهو عالم الغيب المطلق . قال الفارابي : اللازم عن الأول يجب أن يكون أحدي الذات ، لأن الأول أحدي الذات من كل جهة ، ويقتضي الواحد من كل جهة واحداً ، ويجب أن يكون هذا الأحدي الذات أمراً مفارقاً . . ومعنى قول الفارابي مفارقاً أي بعيداً عن المادة ، وفي هذا المجال ليس ثمة من تعين محسوس ، وليس ثمة إلا وجود الأسماء الحسنى بالقوة في عالم الروح المحض .

والهبوط إلى الطريق وإدخال الطفل إلى بيت قرب جامع إشارة إلى خروج مافي الروح الكلي من جواهر موجودة بالقوة إلى موجودة بالفعل . فالبيت جامع أفراد ،

والجامع يجمع الناس ، والناس ظواهر صفات ، والصفات بواطن الأسماء . فههنا انبثقت عن الروح النفس الكلية المنفعلة القابلة التي منها ستنبثق النفوس الجزئية صور العالم المحسوس .

أما التقائي بصديقي سلطان فرمز لمرتبة السلطنة التي ينالها العارف بعد بلوغ أشده وهو حوالي الأربعين . وصديقي أستاذ رياضة وهذا يعني أن العارف يصبح أستاذاً يعلم المريدين أصول الخلوة وآدابها . ومعنى تقديمه الامتحان وانه سينجح بتفوق معناه أن العارف يمر بنفس المراحل التي يمر بها المريدون كما فعل الشيخ الأكبر لما قضى سنين طويلة في الرياضات الروحية والمجاهدات النفسية حتى خرج من خلوته بعد عشر سنوات سلطاناً للعارفين .

*

« رؤيـــا »

حلمت أنني قد دخلت مع زوجتي وأختي واسمها فاطمة إلى السينما فصادف جلوسي إلى جانب ريفي وبجوارنا كانت دورة مياه . وكنت جالساً عارياً وليس علي إلا سروالي القصير الداخلي . ثم نهضت وذهبت إلى المؤخرة فجلست مع زوجتي ولكن أختي أقحمت نفسها بيننا حتى أزعجتني عن مكاني فنهضت . ولما أردت أن أبرح السينما رأيت المتفرجين نائمين . ثم وجدتني في بيت وقد دخل علي زميل في العمل مسيحي ثم دخل زميل آخر كنيته جنّان . فتركت الغرفة لأرتدي ثيابي وقد لبست فعلاً ثياباً جديدة لأن مناسبة الزيارة كانت العيد . ولقد رآني أخي يوسف وزوجته ملك وأنا أرتدي ثيابي ، ولما هممت بالدخول على الضيفين وجدت زوجتي تهم بتقديم شيكولاته للضيوف في قفة من قش ، فقلت لها هذا لا يليق ، فنظرت إلى ثيابي وقالت : وأنت أيضاً لا يليق بك أن تدخل بثياب مستعملة من (البالة) . وفعلاً وجدت ثيابي مستعملة ودخلت . . فلم أجد زميلي المسيحي والآخر بل وجدت عديل أخي واسمه حلمي ومعه زوجته واسمها مُنى ، وكان لهما صبي يلعب بحبّ . وقال لي أبوه : إنه على صغر سنه يعلم أن هذه فيتامينات مقوية . ثم غادرنا البيت

جميعاً فرأيت أنه يقع بجوار مزبلة كبيرة ، ورأيت كناسين يحملون القمامة فيخلطون بها تراب الأرض لينشؤوا منها بيوتا . . ثم رأيت ولدين صغيرين يتسابقان في تسلق درج حديدي ولقد سبق أحدهما الآخر .

التأويـــل

السينما الدنيا وهي صورة وشبح في عرف المتصوفة . وجلوسي إلى جانب ريفي قرب دورة المياه إشارة إلى العوام المخلوقين من النفس الحيوانية التي رمز إليها بالسروال الداخلي القصير . ودورة المياه إشارة إلى عالم الفساد والأخلاط المتكون منها عالم المادة .

ورجوعي إلى الوراء وجلوسي إلى جانب زوجتي سميرة، والسمير الضمير ، فهو يقظة صوت (الهُو) الذي ينقذ القلب من شرور النفس الحيوانية وهو ما يسمى في القرآن بالنفس اللوامة . وإزعاج أختي لي كناية عن إزعاج النفس المفطومة صاحبها بعد أن عُقِلت بنور الضمير .

قال ابن عطاء الله : حرك عليك النفس ليحوشك بها إليه . ويمر الإنسان في هذه المرحلة بمراحل التوبة فالصبر فالشكر إلى آخر الدرجات النفسية كالنفس الملهمة والنفس المطمئنة .

وخروجي من السينما والمتفرجون نائمون رمز إلى اليقظة الصوفية التي تنبه الانسان من غفلته فيرى الناس من حوله نائمين ولا يشعرون وقد أشير إليهم بأهل الكهف في القرآن الكريم .

ووصولي الى البيت هو مقام القلب الذي يلي مقام العقل . ودخول زميلي المسيحي انكشاف سر الصفات لي . ودخول زميلي جنّان هو جنة الصفات ، إذ الجنّان يجني قطوف الجنان الدانية . والمعنى هنا أن الإنسان عند انكشاف سر الصفات له يعيش في نعيم ، إذ يرى الصفات المتمثلة بأفعال الناس كلها لله ولله الأمر من قبل ومن بعد .

وارتدائي الثياب الجديدة فوزي بحقيقة الأديان . وبإضافة اسم أخي يوسف إلى زوجته ملك يصل السالك إلى مقام سيدنا يوسف صاحب تأويل الحديث . وقال

الغزالي : الملك الذي يمثل في المنام ماتراه الروح في اللوح المحفوظ . واللوح المحفوظ فيه سر الآيات المحكمات اللواتي هن أم الكتاب .

ويتم كشف سر الصفات للسالك في مرحلة كشف اليقظة لا الرؤيا ، وقد تحدثنا عن هذه المرحلة بإفاضة في كتابنا الأول (فتح الوجود) ، وقلنا إن السالك يرى رأي العين ما يمكن أن يراه الانسان على شاشة التلفزيون مثلا . وركز الشيخ الأكبر على حاسة الخيال التي تشكل المرتكز الأول لدى المتصوف الخائض بحار الحقيقة . وكشف اليقظة يتم قبل مرحلة الكشف بالرؤيا ولقد لقنا أسرار مفاتح الغيب إذ علمنا بالقلم تأويل الحروف ، وقد أوردنا بعض ما أجيز لنا كشفه على النحو التالي :

- أ: الروح
- ب : الرب ، حجاب
- ج : الجلال ، حجاب ، الجبروت ، الأنوار ، الجسم ، الجمع
- ح : الرحمن
- س : سلام قولاً من رب رحيم
- ش : شمال ، نجم القطب ، قانون الكون الثابت ، النور المحمدي .
- ض : ضرب ، النازعات نزعاً ، الناشطات نشطاً ، الجزاء
- ط : طه ، طبيب ، محمد
- ر : رضوان ، راضية ، جنة الصفات
- ع : عربي ، عرابي ، جامع الأسماء الحسنى ، المتصوفة مظهر أسماء الله .
- غ : احتجاب الله في الخلق
- ل : المُلك ، دنيا .
- م : مالك ، مصدر الطاقة ، شمس ، الروح الكلي الفعال
- ن : القلم وما يسطرون ، الصراط ، عالم الملكوت ، النفس ، نكاح ، نور فعال يلد الكعبة وهي القلب الجامع .
- هـ : النشأة ، زراعة ، صناعة ، هيولى .
- و : الملكوت .
- ي : مرضية ، السر ، التأويل ، يوسف .

وبفضل هذا الكشف يتمكن العارف من تأويل وتفسير أسرار الحروف التي

بدئت بها بعض السور في القرآن وبفضلها أيضاً ينتقل إلى مرحلة الكشف بالرؤيا عندما يبدأ بفك رموز أسماء من يرى من مخلوقاته تعالى وفقاً للخارطة التي لديه . فعلم الحرف هو بمثابة تعلم أحرف الهجاء حيث يتمكن الطالب بعدها من قراءة اللغة ومعرفة ما تحدثت عنه وكتبته . فلا يظنن إنسان أن ما نورده هنا من تأويل للرؤيا هو بمثابة رجم بالغيب وتفسير عشوائي ، ويقول أيضاً إن الناس جميعاً يرون أحلاماً مماثلة فلا يفسرون أحلامهم كما نفسرها ولا يحملونها ما نحملها . ولقد ينبري بعض العلماء النفسانيين إلى القول إن الأحلام انطباعات لأحداث حياتية وهواجس نفسية ، ويفسر فرويد الأحلام بأنها ذات منطلق جنسي بحت . ونحن لا نعارض قول العلماء النفسانيين ولا آراء فرويد نفسها مادام الإنسان أسير النفس الحيوانية الأمارة بالسوء التي تسوق عبيدها سوقاً إلى جهنم الشهوات ووساوس النفس ومخاوفها وردود فعلها من العالم ، ولكننا نقول لهؤلاء العلماء إن حدودكم تنتهي حيث تبدأ حدودنا ، وحدودنا محررة بفضل الله من أسر النفس وقواها ، وخلوتنا هي المنطلق لحياتنا الجديدة ، ومدخل الخلوة صعب وضيق وشاق وهو فعلاً أشبه بسمّ الخياط ولكنه ضروري لكي ينتقل الانسان من العالم الدنيوي الى عالم المعاني والمعقولات أو عالم البرزخ كما يقال في علم التصوف أو عالم الآخرة كما يقال في الدين .

قال الفارابي في الوحي : إذا كانت القوة المتخيلة في إنسان ما قوية كاملة جداً ، وكانت المحسوسات الواردة عليها من خارج لا تستولي عليها استيلاء يستغرقها بأسرها ، ولا خدمتهْا للقوة الناطقة ، بل كان فيها من اشتغالها بهذين وصل كثير تفعل به أيضاً أفعالها التي تخصها ، وكانت حالها عند اشتغالها بهذين في وقت اليقظة مثل حالها عند تحللها منها في وقت النوم . وكثير من هذه التي يعطيها العقل الفعال فتتخيلها القوة المتخيلة بما تحاكيها من المحسوسات المرئية فإن تلك المتخيلة تعود فترسم في القوة الحاسة ، فإذا حصلت رسومها في الحاسة المشتركة انفصلت عن تلك الرسوم القوة الباصرة فارتسمت فيها تلك فيحصل عما في القوة الباصرة منها رسوم تلك في الهواء المضيء الموصل للبصر المنجاز بشعاع البصر ، فإذا حصلت تلك الرسوم في الهواء عاد مافي الهواء فيرتسم من رأس في القوة الباصرة التي في العين وينعكس ذلك إلى الحاس المشترك وإلى القوة المتخيلة ، ولأن هذه كلها

متصلة بعضها ببعض فيصير ما أعطاه العقل الفعال من ذلك مرئياً لهذا الانسان . فإذا اتفقت التي حاكت بها القوة المتخيلة تلك الأشياء محسوسات في نهاية الجمال والكمال قال الذي يرى ذلك إن الله عظمة جليلة عجيبة ، ورأى أشياء لا يمكن وجود شيء منها في سائر الموجودات أصلا . ولا يتمنع أن يكون الانسان إذا بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمال فيقبل في يقظته عن العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة أو محاكياتها من المحسوسات ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات ويراها فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالأشياء الالهية . فهذا هو أكمل المراتب التي يبلغها الانسان بقوته المتخيلة .

فإذا عدنا إلى تأويل الرؤيا قلنا إن رؤيتي زوجتي التي أرادت أن تقدم شيكولاته للضيوف في قفة من قش ومنعي إياها إشارة إلى اجتياز المتصوف العقل المبني على علم المنطق المعتمد على المقدمات والنتائج والتحليل والتركيب وما إلى ذلك . فسميرة هنا الفكر أو الذات الناطقة ، والذات الناطقة في مصطلحاتنا تشمل العقل وما بعد طور العقل ، أو لنقل إنها تشمل أيضاً عملية تحويل رموز العلم الباطني إلى حروف وكلمات . وأما دلالة كون سميرة على أنها في درجة العقل فهو حملها الشيكولاته ، إذ لو الشيكولاته بني ، واللون البني وسط بين السواد والبياض أي وسط بين سواد كثافة المحسوسات ولطافة المعقولات المتمثلة بحاسة الخيال لدى الانسان . وقول زوجتي لي : لا يليق بك أن تدخل بهذه الثياب المستعملة يرمز إلى مقام القلب جامع الصفات ، إذ الصفة في علوم المتصوفة هي القديمة والباقية وهي التي ترتديها الأجسام جسماً بعد آخر تماما كما تلبس الثياب المستعملة . فنهي زوجتي لي عن ارتداء هذه الثياب إشارة إلى ضرورة عدم وقوف طالب الحقيقة عند مقام كشف الصفات لأنه مازالت هناك مرحلة الفناء وهي الكشف الذاتي .

ودخولي الغرفة من جديد وعدم وجود ضيفيّ المسيحي والآخر ووجود عديل أخي واسمه حلمي وزوجته واسمها منى فهذا هو النجاح في مرحلة تأويل الأحاديث التي صار النبي يوسف يؤول للناس فيها أحلامهم . ويدل على هذا أن ابن حلمي أدرك أن الحبّ الذي بين يديه هو فيتامينات مقوية ، والولد ولادة مرحلة جديدة ، والحب بذور تنتج أغراساً فأشجاراً والشجرة ترمز إلى المعرفة .

وخروجي من البيت واكتشافي أنه يقع بجوار مزابل تخلط بتراب الأرض لتقوية التربة فهذا رمز إلى الذات الناطقة الانسانية الجامعة التي قال الامام علي فيها أنه لا انبعاث لأصحابها ، أي أن من كان من أتباع هذه النفس فإنه يفنى لما يموت ويعود جسمه إلى التراب الذي منه نشأ. فالمحبة الناجمة عن كشف سر الصفات لاتكفي لخلود نفس صاحبها ، فهذه النفس جزئية ذائبة في بحر النفس الكلية لدى موت صاحبها . . وإذا ما سأل سائل أن كيف نجا السيد المسيح الذي كان نبي مقام كشف الصفات فجوابنا أن ذات المسيح هي من روح الله ، ومن نفخ جبريل ، وأنه كلمة مقدسة منزهة عن التعلق بشوائب الطبيعة . ومعنى كونه من روح الله أن نفسه من الذات الالهية التي قال الفارابي فيها انها قد بلغت مرتبة العقل المستفاد وأصبحت بغنى عن المادة قادرةعلى الاتصال بالعقل الفعال فتصبح حينئذ إلهيةكما قال الامام علي فيها إنها من الله تنطلق وإليه تعود . . فصاحبها لا يفنى ونفسه تنتقل في الأبدان تؤدي مهامها الموكولة إليها من قبل بارئها الروح المطلق . وههنا لطيفة يجب الاشارة اليها وهي أن الأمة المحمدية المسلمة مخلوقة منذ الأزل وخالدة حتى الأبد وقد تجسدت في أنبياء وأولياء وعباقرة عظماء مثل أسباط بني إسرائيل وحواريي المسيح وصحابة الرسول ومثل كبار المصلحين والأئمة . وهذه الأمة هي التي قال فيها تعالى : ثلة من الأولين وقليل من الآخرين . . وهي مسلمة أي منقادة لله بفطرتها ، وهي أفضل أمة لأنها عيون الملأ الأعلى ونجوم السماء . وإلى هذا أشارت الرؤيا بالصبيين اللذين كانا يتسابقان متسلقين درجاً من حديد ، إذ السباق هنا يعني السابقين أو الأرواح السابقة الوارد ذكرها في القرآن الكريم .

*

« رؤيـــا »

وجدتني أمشي مع زوجتي سميرة وقد نبت لها عضو ذكري ، وكنا ذاهبين الى حي ركن الدين حيث يقطن أبوها واسمه عارف ، وتوقفنا في الطريق حيث جاءت سيارا ت كثيرة لم نستطع أن نستقل أياً منها . ثم وجدتني في سيارة وحدي تصعد

طريقاً طينية مطرتها السماء فامتلأت بالحفر التي اجتازتها السيارة بصعوبة . ثم وصلت إلى مكان فيه آثار قديمة منها بوابة كبيرة أمامها جموع من الناس خطبهم رجل فقال : عليكم أن تدخلوا بانتظام بدءا من الشمال إلى اليمين ، ورددت قوله الرجل هذا ، ولكن صبياً جعل يقلدني ساخراً فانهلت عليه ضرباً وصفعاً فلم يتحرك وثبت أمامي كالصخرة ، فارتددت عنه ودخلت البوابة فإذا أنا في سوق يصنع فيه السجاد العجمي الفاخر فجعلت أتفحص سجادة كان يحوكها صانع ممسكاً بخيوطها بقدميه ، ثم قيل لي إن وراء السوق بيت عمي عارف .

التأويل

سميرة هنا الذات الإلهية أو نور الضمير ، والمشي المرافقة ، والعضو الذكري دلالة على الفعل ، فالضمير هنا هو المرافق الموجه لرحلة المريد الصوفية ، ومن وصل هذا المقام انطبق عليه قوله تعالى : (ليس لك من الأمر شيء) . ولو قال له وحيه ثب من أعلى جبل لفعل .

وهدف الرحلة اليقين وعبر عنه بركن الدين في الرؤيا . والتوقف والحيرة في ركوب السيارة تعبير عن حالة السالك الذي أخذته الجذبة إلى الله ولكنه لا يدري من أي باب يدخل عليه . وركوب السيارة التي صارت تصعد طريقاً طينية إشارة إلى التكليف الذي يطلب إلى السالك حتى يصل إلى التمكين . وقد كلف الله موسى في هذه المرحلة بأن يذهب إلى فرعون الذي طغى ويقول له قولاً معقولا . فمطر العلم اختلط هنا بتراب الأرض ، والنفس ما زالت وهي في الخلوة حبيسة تحاول التشويش على صاحبها بشكوكها ومخاوفها ، وصوت الحق مايزال يأمر السالك بأن يطيع الأوامر وينفذها مهما كان نوعها ومهما بلغت شدة خطورتها .

والوصول إلى الآثار حصول التمكين بعد التكليف ، إذ الآثار تشير إلى القدم والبقاء ، وهو هنا دلالة على تمكن السالك من مقام القلب الذي حوى الصفات الإلهية فصار مظهراً لأسماء الله الحسنى جامعة . والدخول من البوابة ورؤية جموع الناس واقفين ينتظرون الدخول وأمامهم شخص يأمرهم بأن يدخلوا بانتظام من

الشمال إلى اليمين فهنا إشارة إلى أصحاب الصراطين ، الذين رضي الله عنهم والمغضوب عليهم وسموا أصحاب الشمال وأصحاب اليمين . ويدل ضربي الصبي الذي راح يقلدني بسخرية يدل على عدم تقبلي مقام توحيد الصفات لما كشف لي سره . ولعمري كم عدد الذين آمنوا وتقبلوا هذا راضين بأن يديروا خدهم الأيسر لمن ضربهم على خدهم الأيمن والذين باركوا شانئيهم . فالانسان مفطور على حب من شاكله وبغض من خالفه ، وقال عليه السلام : الأرواح جند مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر اختلف . ولكن هذا المقام يطلب إلى صاحبه بأن يقبل أصحاب الشمال مثل قبوله أصحاب اليمين لأن الصفات وتضادها لله وحده لا شريك له . وعند هذه النقطة وقف اكثر المحجوبين عن الله ، إذ آمنت كل طائفة بصفة من صفات الله التي لا تحصى ، أو بتجلي اسم من أسمائه كالرحيم والغفور ، ولكن منذا الذي يتقبل بأن يتجلى الله ببقية أسمائه المذكورة في القرآن كالجبار والمنتقم والمتكبر ، واسمه الجبار تعالى لا يكشف عن هويته إلا من خلال فعل جباري الأرض كفرعون . . وفشلي في معركتي مع الصبي معناه أن لابد للموحد من قبول توحيد الصفات وإلا لبقي مع المحجوبين نعوذ بالله من نار الحجاب .

والوصول إلى سوق السجاد بلوغ مقام الذات ، إذ يغطي السجاد الأرض ، وتغطي الذات بهويتها العالم المعقول والمحسوس جميعا . والصانع الذي يحيك السجاد ممسكاً خيوطها بقدمه إشارة إلى الروح الكلي الجامع . والجامع هنا جامع الأسماء الحسنى التي توجد صفاتها في الروح بالقوة لا بمعنى أنها موجودة فعلاً وقائمة بذاتها . فكما أن الحامل تحمل جنينها في بطنها ولا نراه كذلك الروح تحمل في طياتها قوى الملكوت أي الصفات أي المثل كلها ولا نرى آثار هذا الحمل إلا في عالم العيان . فالسجادة تصنع من ألوف الخيوط ، وتستخدم في الخيوط جميع الألوان ، فههنا انبثق العالم كله من بحر الذات الجامعة بصنوفه كلها ومخلوقاته . ومعنى أن بيت عمي عارف يقع خلف سوق السجاد يدل على أن الوصول إلى بحر الذات أو التحقق بالوحدة الذاتية مع الحق هو طريق العارف الذي خاض بحار الحقيقة حتى فني عن نفسه أي عن حجابه وقام بالله أي بعلمه بالله ، فهو الفاني عن صفاته ووجوده رائياً رأي العين أن كل ما عليها فان ولا موجود بحق سوى الله .

*

« رؤيـــا »

رأيت أخي رؤوف يصيح غاضباً في ناس كثيرين من خلف شباك ، ثم عبر الشباك واقترب مني ضاحك السن منبسط الأسارير ، ثم أقبلت أختي ليلى من ناحية البحر فقالت لا أحد هناك .

التأويـــل

عن الشيخ الأكبر أن الله سبحانه يمكن أن يتجلى في الرؤيا باسم من أسمائه . ولئن لم يتجل الله باسـم من أسمائـه فكيف نمـكن أن نراه في الـرؤيا وهـو النـور المحض ؟ والرؤوف من أسمائه تعالى ، والرأفة الرحمة ، وهنا ينبغي التفـريق بـين اسميه سبحانه الرحمن والرحيم . وجاء في الرؤيا أن أخـي كان يصيح غاضبـاً في الناس ، ثم جاز الشباك إلي وقد سكت عنه الغضب . والشباك القلب الجامع الذي تنتشر منه الصفات وأفعال العباد حيث يقع التضاد الممثل بالشجار والصياح . ولكن أخي عندما اجتاز الشباك كان وحده . والوحدة هنا تقع في مجال العلو عن العالم ، أي في مجال الروح حيث لا أحد موجود هناك سوى الـروح الـذي خلـق الخلـق برحمته . وهنا دلت الرؤيا على اسمه الرؤوف المقارن لاسمه الرحمن الجامع لجميع صفات الذات ولذلك بدىء بهذا الاسم في الفاتحة والسور . قال سبحانه : (قـل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) .

وهذا الجمع للأسماء عبرت عنه الرؤيا ببحر الذات الذي أقبلت منه أختي ليلى ، وليلى اسم المحبة للذات الالهية . فبالحب خلق الله العالم ، ورحمته سبحانه سبقت غضبه ، وهو غفار يغفـر الذنـوب جميعـا . وكيف لا يغفرهـا والسمـوات والأرض مطويات بيمينه ، وله المشرق والمغرب ، وكل مافي الأكوان في قبضتـه ، جبار العالمين لم يصدر عنه شيء إلا بإذنه ، وماصدر عنه إلا أسماؤه التي تشخصت صفاتها الواقعة حكماً تحت الخضوع لأمره ، فهو عين أعيانه وما صدر عنه إلا هو .

ومعنى لا أحد موجود إشارة إلى وجود الله الحقيقي في عالمي الوجوب والإمكان . ففي عالم الوجوب ليس ثم من موجود سوى الموجود بذاته ، وفي عالم الإمكان هناك الافتقار من عالم ليس موجوداً بذاته إلى الموجود بذاته . والعالم الفقير هذا عالم وهمي وهو عالم الطبع ـ كما سماه الجنيد ـ الفائض عن عالم الأصل ، وكل فرع راجع إلى أصله ، وأصل الوجود جميعاً هو الله .

*

« رؤيـــا »

رأيتني أمشي مع امرأتين اسم إحداهما نهى والأخرى نوال ، وكنا متوجهين إلى وزارة الإعلام . فلما وصلنا الباب وجدناه موصداً ، فدرت حول البناء ودخلت من الباب الخلفي حيث وجدت موظف الاستعلامات واسمه شفيق على الدرج فسمح لي بالدخول . ولما دخلت غرفتي دهشت إذ وجدتها ملأى بموظفات جديدات ، ولم أجد فيها رفاقي ولا طاولتي فجن جنوني ، وجعلت أركض في كل اتجاه حتى عثرت على غرفتي في الجهة الجنوبية من البناء وقد حدث فيها تغيير . . ففي مكان زميلي زكريا جلس زميلي سليم بينما جلس زكريا في مكان سليم .

التأويـــل

قلنا إن بإضافة الأسماء إلى بعضها بعضا يبرز المعنى المقصود من الرؤيا . فالمشي مع نهى ونوال هو نيل زيادة في العقل إذ النهى العقل ، وهذه الزيادة ستكون بالطبع علماً لأننا كنا متوجهين إلى وزارة الإعلام .

ومعنى كون باب الوزارة الخارجي موصداً إشارة إلى أن الدخول إلى هذا العالم لن يكون من الباب العادي ، باب الحواس والعقل بل من الباب الخلفي وهو باب الكشف والذوق . فالخلف هنا علم الباطن والباب الأول علم الظاهر .

ولقائي بموظف الاستعلامات على الدرج هو نيل الاذن والتوفيق من قبل صاحب النفحات ، حيث قال عليه السلام : ألا إن لربكم نفحات فتعرضوا لها فمن أصابه شيء منها سعد سعادة لاشقاء بعدها . فهذه النفحة الإلهية هي الرحمة التي مثلها اسم الموظف شفيق . أما سبب وجود موظفات جديدات في غرفتي فإشارة إلى طلوع أنوار الصفات ، إذ الصفة مؤنثة ، وبحثي عن غرفتي الضائعة ضياع علمي السابق كله إذ أن مطلع فجر التوحيد أراني جوهرة العلم الحقيقي وهذا ما عبرت عنه الرؤيا بعثوري على غرفتي في الجهة الجنوبية ، إذ الجنوب اتجاه القبلة ، والقبلة قبلة المسلم المنقاد إلى الله وفيها كعبة القلب العتيق من النار .

وتفسير تبادل زميليّ زكريا وسليم مكانيهما إشارة إلى تأخر مرتبة العقل ، الذي مثله اسم زكريا الذي دخل على مريم النفس المطمئنة فوجد عندها رزقاً من العلم الباطني ، عن مرتبة القلب الذي تطهر وانجلى والذي مثله اسم زميلي سليم .

وجلوسي في مكاني إشارة إلى عملية فك رموز علم التأويل ، وذلك بمحاولة التوفيق بين علوم نور الإشراق الذي أشرقت أنواره في القلب وبين العقل الذي وقف أمام هذه العلوم حائرا .

*

« رؤيـــا »

رأيت صديقاً لي عجوزاً اسمه جورج في حديقة السبكي يدور على الناس يستعطيهم فيعطونه نقودا . ولما وصل إلي ضحك وقال : يظنني الناس فقيراً وعندي من المال اكثر مما يتصورون . وأضاف : هل ما زالت ليبيا غير محررة من نير الاستعمار ؟

التأويـــل

أصل اسم جورج جرجس ، وجرجس هو القديس المشهور الذي قتل تنين

النفس الحيوانية فأنقـذ عذراء النفس الناطقـة من شروره . والقـديس جرجس معروف لدى الصوفية باسم الخضر . وتقول المتصوفة إن الخضر حي يرزق يطوف في البراري والصحارى ، وإن له خرقة تسلمها الشيخ الأكبر منه ثلاث مرات . وترمز القصة إلى خلود الروح الكلي وفناء المخلوقات ، إذ الخضرة رمز الحياة ، واستلام الخرقة إشارة الى مقام الولاية التي ينالها العارف بإذن ربه .

والحديقة جنينة ، ووجود الناس فيها وجودهم في جنة الصفات ، إذ الناس مظاهر هذه الصفات ، وكون صديقي جورج عجوزاً إشارة إلى قدم الذات الإلهية ، واستعطائه الناس يدل على أن الناس صور تدل على مثلها المعنوية . وليس الناس وحدهم هم الذين يدلون على مثلهم بل إن صور الموجودات كلها أو عالم الظواهر إشارة إلى المثل الخفية والتي تعتبر بواعث حركة العالم المستديمة المرئية .

فالمثال عين ماهو موجود ، ومجموع المثل أعيان عالم الموجودات . وقال الشيخ الأكبر إن العالم كثير ماهو أحدي العين . فأعيان الموجودات جميعاً المعبر عنها بمقام الجمعية تدل على العين الأحدية التي انطلقت منها وهو ما عبرنا عنه بوجـود قوى الصفات في بطنان الروح الكلي الذي ترمز إليه المتصوفـة بالنبـي الخضر أو النـور المحمدي ونور كل موجود .

وقول صديقي إن لديه مالاً لا يتصوره الناس الذين يتصدقون عليه هو بمثابة رد على النظرية الهيغلية برمتها القائلة إن الفكر الكلي حصالته الفكر الإنساني المتطور والنامي عن طريق المتناقضات . فالفكر الإلهي كامل وهو الذي ربى آدم على عينه وما حققه ابن آدم من تقدم في مجال الفكر إنما مرجعه إلى الوحي الإلهي الذي ألهمه وسدد خطاه منذ انطلاقه من الغابة وحتى انتهائه إلى تقدمه الحضاري هذا .

وجهل الناس لمقدار غنى الله هو ما قيل بلغة المتصوفة إن الله خفـي لشـدة ظهوره ، وإنه إن كان العالم المرئي يدل على بديع صنع الصانع فالأصح أن يقال إنه هو الصانع البديع الذي يدل على بديع ما صنعت يداه . فالعالم المحسوس الذي رمز إليه بالناس صورة عن العالم المعقول ، والعالم المعقول الذي دُل عليه بوجود الناس في الحديقة صورة الله الأحدي العين الكثير بأسمائه وصفاته كما قال الشيخ الأكبر .

وأما سؤاله عما إذا لا تزال ليبيا لم تتحرر من ربقة الاستعمار فالتأويل أن ليبيا تقع في شمال القارة الإفريقية ، والشمال في علم الحرف إشارة إلى القانون الخفـي

الذي يحكم الكون والمعبر عنه بالنور . والاستعمار الغربي إشارة إلى العالم المادي إذ وصفت الحضارة الغربية بأنها مادية . والمعنى أن الروح مازال محتاجاً إلى عالم العيان المادي لكي يستدل على وجوده وهذا في نظر الجهال بالطبع . . أما في نظر العارفين الموحدين الكاشفين فإن الروح هو الذي يظهر بالعالم المادي وما الأخير سوى ذيل له وجد من أثره النوري الذي انفلق منذ الأزل عن الغبار الذري الكوني الذي كوّن السديم ثم النجوم والكواكب والأقمار وعوالم الأحياء .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في غرفة موصدة الباب بينما كانت جماعة من اللصوص يحاولون اقتحام الباب . ثم سمعت صوت قريبة لصديق لي مسيحي اسمها مَيْ قدسي ففتحت الباب فدخلت هي واللصوص علي .

التأويـــل

البيت القلب ، واللصوص الخواطر الشيطانية والهواجس النفسية التي تحاول اجتياح قلب المؤمن والسيطرة عليه . ومَيْ قدسي ماء القدس أو روح القدس باعتبار الماء تعبير عن الذات الإلهية . وفي مرافقة اللصوص لروح القدس إشارة إلى الوصول إلى مقام توحيد الصفات ، وذكرنا أن لهذا المقام سرا لا يجوز إفشاؤه ، وقال عليه السلام : إفشاء سر الربوبية كفر . وقال سهل التستري : إن للربوبية سراً لو عرف لبطلت النبوة ، وإن للنبوة سراً لو عرف لبطل العلم ، وإن للعلماء سراً لو عرف لبطل العمل . ولكننا نلمح إليه من خلال ما حدث لموسى عليه السلام حين رأى ناراً فقال لأهله : امكثوا ، إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى . فموسى وجد الله عند النار فصار موحداً ، وهذا ما أشارت إليه الرؤيا

بمرافقة اللصوص لمي . ومن هنا تقول المتصوفة إن أصل العالم كله نور ، وسمى الله هذا النور ماء وجعله أصل العالم كله ، والماء يطفىء النار وهو أصل لها .

وما يهمنا نحن من تأويل الرؤيا ليس استخراج أفكار جديدة فما في هذا الكتاب ـ ماعدا قسم الإملاء منه ـ من جديد يمكن أن يضاف إلى كتابنا السابق فتح الوجود ، إنما هدفنا أن نضرب الأمثال على كيفية استنباط المتصوفة لأسرار العلوم الاشراقية التي عرفوا بها وتميزوا . ويمكن القول إن ما قاله سلطان العارفين منذ ثمانية قرون على وجه التقريب كان كل ما قالته المتصوفة من بعده خلال هذه القرون ، ولكن هذا لا يمنع من تأكيد ما أتى به سلطان علوم الإشراق من قِبَل جميع الأئمة الذين جاؤوا بعده .

*

« رؤيـــا »

رأيت كوخاً قرب نهر بردى دخله رجل وبيده مكبر صوت وأوحي إلي أنه يسجل برنامجالإذاعة لندن. وكان الرجل أعرج يظلع في مشيه فقلت في نفسي : أنا أيضاً يمكنني أن أسجل شيئاً لإذاعة لندن . ثم جئت الرجل فقلت له : أنا دكتور في الهندسة اختصاصي في الجسور . ووصلنا جسراً يُبنى فأشرت إلى الجسر الذي كان نصفه قد صب بالإسمنت ونصفه ما يزال قضباناً من حديد مشبك . وجعلت أصف كيف يبنى الجسر . ولما تجاوزنا الرجل التقيت درزياً طويل القامة قال إنه من آل الفقيه ، وإنه قدم مصر ليتعلم وهو فقير . ثم تجاوزت الرجل فرأيت قطة لحقت بي محمرة العينين من شدة البكاء ، وكانت تموء ناظرة إلى شجرة . ولما نظرت إلى حيث كانت تنظر أوحي إلي أن ابناً لها كان هناك فاختطف ، وجن جنون القطة فانقضت علي وضربتني بيدها ضربة قسرت خدي على الالتفات إلى اليمين .

النهر الدنيا ، وقد ورد في القرآن الكريم على لسان طالوت إذ قال : (إن الله مبتليكم بنهر فمـن شرب منه فليس مني ، ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم) ، والقصد أن لا يجعل الإنسان الدنيا أكبر همه فإنها حلوة خضرة تفتن وتغلب .

ومعنى وجود كوخ يتم فيه تسجيل برنامج لإذاعة لندن أن الغاية من وجود الانسان في الدنيا التعلم . فالكوخ القلب أو الذات الناطقة العاقلة ، وإذاعة لندن تشير إلى العلم المادي إذ تقع لندن في الغرب ، وقد جاء في القرآن الكريم أن ذا القرنين لما بلغ مغرب الشمس ، والشمس هي الذات ، وجدها تغرب في عين حمئة طينية كدرة المياه . . وهذا ما رُمِز إليه في الرؤيا بعرج الرجل وظلعه في مشيه . . فإن العلم الذي يجعل قوامه وهدفه المادة فقط هو علم ناقص غير كامل ما دام الانسان مزيجاً من مادة وروح .

وقولي لنفسي إنني يمكنني أن أسجل برنامجاً للإذاعة معنـاه اهتمامي بالعلـوم المادية كعلوم الذرة والطب والرياضيات ، وقد اشتهر الرازي وابن سينا والفارابي وغيرهم كثير ببراعتهم في العلوم المادية . وقولي إني دكتور مهنـدس متخصص في الجسور إشارة إلى الفلسفة التي هي علم وسط بين العلوم المادية والعلوم الروحية ، فهي جسر بين العالم (الفيزيقي) وما وراء العالم (الميتافيزيقـي) . وإلى هذا رمـز الجسر الذي كان نصفه إسمنتاً ونصفه الآخر قضباناً من حديد مشبك . . والحديد المشبك هو لحمة علم الفلسفة وسداه . . فلحمته العالم المحسوس ، وسداه العالم المعقول . وصب الإسمنت إشارة إلى الوصول إلى النتائج من المقدمات واستخلاص المعقولات من المحسوسات .

وتجاوز الجسر ولقاء الدرزي الطويل من آل الفقيه الذي قدم مصر للتعلم فهو الوصول إلى مقام التوحيد بعد اجتياز جسر العلوم العقلية الفلسفية ، أي تجاوز حد الذات الناطقة كما وصفت ذلك في كتابي الأول . فالفلسفة لهـا حدود لا يمـكن تجاوزها ، وتضاربها يقعد بها عن القفز إلى اليقين الكلي ، فتظـل نظرياتهـا رجمـاً بالغيب قابلة للتأييد والبطلان وهذا هو حد العقل .

أما مقام التوحيد الذي مثله الدرزي ـ وقد قلنا إن الدروز عرفوا باسم الموحدين ـ فباعه طويلة لأنه كان طويلاً ، وهو فقيه فقير جاء يتعلم في مصر ، أي أنه طالب حقيقة فقير إلى الله تعالى صاحب العلم الوهبي . وقدومه مصر إشارة إلى طلبه العلم من مصر مدينة البدن ذاتها . . إذ العلم الوهبي يتفجر من عين البصيرة الموجودة داخل بدن الانسان نفسه .

والقطة النفس الطيعة الأليفة التي وصفها سبحانه بالنفس المطمئنة لأنها اطمأنت ، إذ وجدت نفسها في رحاب خالقها الذي هو أقرب إليها من حبل الوريد . وبكاء القطة ونظرها إلى الشجرة التي اختطف منها ولدها فهو حزن النفس على فنائها في بحر الذات الكلية الممثلة بالشجرة . فالولد ولادتها الجديدة ، وضياعه ضياع نتيجة الولادة ، أي أن ما نجم عن العلوم اللدنية قد أدرج النفس في مقام الفناء وهو أخطر المقامات على العارف حيث لا يعود يرى نفسه ولا غيره . . فلا أزواج في هذا المقام ولا أولاد ولا آباء ولا صواحب وأقرباء ، فالكل مدرجون في بحر الجسم الكلي القائم بهويته التي هي الحق لا غير .

وضرب القطة لي حتى أدارت وجهي نحو اليمين فرمز إلى تجاوز النفس مقام الفناء إلى البقاء ، إذ ترى كشفاً أنها خالدة لأنها ذات مقدسة صفتها خالدة ألا وهي التوحيد . وهذا ما عنته حركة إدارة الوجه أي الذات إلى اليمين ، أي إلى أصحاب اليمين ، أي إلى الصفات الحميدة وعلى رأسها إسلام الوجه لله وحده لا شريك له .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في مقهى أشرب كأساً من الشاي ولما خرجت التقيت وفداً من الحجاج الايرانيين سمر الوجوه قدموا الشام وقد قال شيخ لهم إنه سيريهم إبليس فلما أراهم إياه رأوا رجلاً عليه فروة خروف فتعجبوا واستنكروا . . ثم سمعت جلبة ورأيت الشارع ممتلئاً بموكب مهيب وقيل إن زوجة شاه إيران ماتت ، وكان موكب الجنازة

مهيباً يتقدمه والد الشاه مرتدياً بذلة عسكرية برتبة مشير . ومشيت حتى وصلت ساحة الشهبندر حيث التقيت خالي صلاح الدين وجدتي وداد وأعلنا أن امرأة خالي حسيبة ماتت فجزعت وحزنت وبكيت بحرقة فقالت جدتي تخفف عني : لقد ظلت في النزع منذ سبعة أيام .

التأويـــل

شرب الشاي في المقهى مقام الكشف الذاتي ، الروحي ، إذ الشاي أحمر والحمرة رمز الروح كما ورد عن تأويل لون الطربوش في رؤيا سابقة . أما الحجاج الإيرانيون الذين كانوا سمر الوجوه فهم المسلمون في مقام الإيمان وهو العقل الذي رمز إليه بالسمرة التي هي لون وسط بين البياض والسواد . وفي هذه المرحلة من سفر المؤمن يكون إبليس موجوداً ، ولقد جاء الحجاج ليروه ، ولكن الدليل الشامي ، والأبدال في الشام ، أراهم رجلاً عليه فروة خروف وقال لهم هذا إبليس فدهشوا . وأولت الصوفية الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام بالنفس الحيوانية . . فإبليس بعد التحقق في مقام المكاشفة هو النفس الحيوانية . والنفس الحيوانية حواء التي خلقت من ضلع آدم الروح ، وفي مقام الكشف تموت النفس الحيوانية ، أي يتخلص المكاشف من طغيانها . . ولذلك رأيت والد الشاه ، والشاه القلب والوالد الروح ، رأيته يبكي على موت كنته وهو يلبس بذلة عسكرية برتبة مشير ، وتدل الرتبة على لغة الإشارة التي يخاطب بها الجد وهو هنا الأصل أو من بلغ هذه الرتبة وهو القطب . وقلنا في كتابنا فتح الوجود إن النفس الحيوانية يسلس قيادها لصاحبها لدى بلوغه اليقين . فإبليس هنا ارتد إلى الله ، وقد ورد تأكيد ذلك في القرآن على لسان إبليس الذي ثاب إلى ربه بعد أن أغوى أولياءه وأعلن أنه يخالف الله . والوصول إلى ساحة الشهبندر ، فالشهبندر اسم شهيد من الثوار قاد الثورة على فرنسا في عهد الاحتلال . . فالمعنى هنا بلوغ حد الشهادة أي شهادة أن لا إله إلا الله ، والشهادة للأحياء لا للأموات كما تعتقد العامة ، ولكن الحي الشهيد هو من تموت نفسه الحيوانية بإرادته ولذلك وقعت العامة في غلط تاريخي إذ فسر الأقطاب الشهادة بالربط بين موت النفس وبلوغ المكاشفة وفسرته العوام بالموت العادي .

ولقائي خالي صلاح الدين وجدتي وداد فهو إعلان بلوغ حق اليقين، وإعلانهما موت زوجة خالي حسيبة هو تجاوز مرحلة الثواب والعقاب التي وردت في القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى . وكان تعميم المغفرة على العباد ، المسيء منهم والمحسن ، هو أحد الأسباب التي جعلت ابن تيمية يكفر الشيخ الأكبر ويقول عنه إنه ليس محيي الدين بل ماحي الدين . والحق ان لا حل أبداً لقضية الثواب والعقاب من جهة والقضاء والقدر السابقين لخلق الإنسان من جهة أخرى إلا باللجوء إلى تعميم المغفرة والرحمة . ولقد أعلنت جدتي وداد ، أي الود ، أي الودود ، وهو أحد اسمائه تعالى ، أعلنت أن كنتها حسيبة (الحساب) ظلت في النزع منذ سبعة أيام . والله سبحانه خلق الدنيا في سبعة أيام ، والله عندما خلق الدنيا خلق محكمات الآيات التي عبر عن الرحمة منها سبحانه بقوله في الحديث القدسي : ورحمتي سبقت غضبي . فإذا تساءل سائل : فما العبرة من عقيدة الثواب والعقاب وإيرادها في القرآن لقلنا إن القرآن نزل للمسلمين خاصة ، إذ ان أبا لهب لم يزدد بجهر النبي بالدعوة إلا جهلاً ولهبا . فعقيدة الثواب والعقاب ما أثرت في أبي لهب وغيره من الكافرين ، إنما أثرت فيمن لبوا نداء النبي ، وهؤلاء هم المسلمون ، وهؤلاء مدرجون في مرحلة العقل أي الإسلام التي ستتبع بمرحلتي الإيمان والاحسان أي القلب والكشف .

فعقيدة الثواب والعقاب ضرورية لمن لبى نداء النور ، وثبت لنا كشفاً أن الله هو الهادي ، فالله أعلم بمصالح عباده وباللغة التي يخاطبهم بها . فهو سبحانه رغب وخوّف تقية للمسلم من نفسه الأمارة بالسوء ، حتى إذا بلغ اليقين كاشفه ربه فقال له لا تخف سلمت من الشر فلا إبليس هناك . وإبليس من القوى الخفية في النفس ، إذ صفته في القرآن موسوس ؛ وهو من الجن . . وقد أعلن عليه السلام أن لكل إنسان قرينه من الجن ، وهو قد أعانه الله على قرينه فأسلم ، أي أسلم القرين أي خاف الشيطان ربه فتبرأ مما كان فعله .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في غرفة وزير الإعلام بين وزيرين أحدهما وزير سابق اسمه أحمد والآخر وزير حالي اسمه جورج . وسمعت هاتفاً يقول لي انني أنا الفارابي ، وأنا أول فيلسوف في الإسلام ، وانني كنت إماماً في الموسيقى ولكني نسيت . فانتبهت من نومي أرتعد من شدة الرؤيا .

التأويـــل

غرفة وزير الإعلام إشارة إلى اسمه العليم ، وهـذا الاسم تجلى في عالم الظواهر بظهور الأنبياء والأولياء والأعلام الذين كانوا نجوم سماء الإنسانية ومصابيح الهدى .

وإذا أضفنا اسم الوزير الأول إلى الثاني وصلنا إلى مفتاح الإشارة . فأحمد اسم النبي عليه السلام ، وجورج هو جرجس الذي عرف بالخضر ، وبجمع الاسمين نتوصل إلى ما سميناه بالنور المحمدي ، إذ اللون الأخضر نور الحياة أو نور الوجود .

والنور المحمدي أول ما خلق الله ، وقلنا إن له تعيناً منه جاء الأنبياء والأولياء لسان حال الله وترجمانه ولقد قال عليه السلام : أنا أظهر بأكملكم ، فتجنس هذا النور هو ما سمته المتصوفة ظهور الولي جامع الأسماء الحسنى ، أو ظهور الله باعتبار اسم الله هو الرحمن الذي انتشرت منه الرحمة الرحمانية التي انبثقت منها الموجودات العيانية .

وتعين هذا النور دائم ومستمر ، ولذلك قال عليه السلام : كتب الله نبوتي وآدم منجدل في طينته . وقال : علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل ، وقال : العلماء ورثة الأنبياء . ومن هذا الإطلاع على سر من أسرار الغيب الخاص بالتعين الرحماني كوشفت بالرؤيا أنني كنت في دور من أدوار تعينات النور الأول ذلك الفيلسوف المسلم الفارابي والذي كان إماماً في الموسيقى فعلا . والغريب أنني كثيراً ما سمعت

عن الفارابي ، بيد أني ما كنت أعلم أنه أول فيلسوف في الإسلام ، فلما قرأت عنه بعد ذلك من باب الفضول تحققت مما كوشفت به .

قال ابن سبعين : هذا الرجل أفهم فلاسفة الإسلام وأذكرهم للعلوم القديمة وهو الفيلسوف فيها لا غير . وقال ماسينيون : الفارابي أول مفكر مسلم كان فيلسوفاً بكل ما للكلمة من معنى . وقال حنا الفاخوري : هو أول فيلسوف مسلم عالج قضية النبوة وكون نظريتها فجاءت هذه النظرية أهم محاولة للتوفيق بين الدين والفلسفة . وجاء أيضاً أن الفارابي كان لا يرى بعد فراغه من إلقاء دروسه إلا عند مجتمع مياه واشتباك رياض . وهنا أخذني الدهش ، فمن غيري كان سباق الناس إلى التوجه إلى تلك الرياض ، ومن غيري يشاهد وحيداً معتزلاً على ضفاف بردى وفروعه طوال سني تأملاتي ؟!

وإخبار الوحي إياي بأنني لا أتذكر دليل على أن الله قوة فاعلة ، والجسم وقواه أي حواسه العشرة مركب لها ، إذ التصريح بأنني لا أتذكر يؤكد أن الروح إذا ما فارقت الجسد تركت كل ذكرياتها المجموعة بحاسة الذاكرة فيه ففنيت تلك الذاكرة بفناء الجسد .

*

« رؤيـــا »

وجدتني نائماً في فراش ، ثم رأيتني أفارق جسدي وكأنـي استللـت منـه ، وارتفعت في الفضاء شيئاً فشيئاً . وقيل لي هكذا الموت . ثم مرقت في اجواز الفضاء كالسهم حتى اقتربت من شكل ذري قيل لي عنه إنه رسم لمجموعة من النجوم .

التأويـــل

كنت قد تحدثت قبلاً عن أسرار الموت قائلاً إن الخالدين من الناس قلة ، هم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين وهؤلاء هم عيون الملأ الأعلى ، غصون من شجرة

النور المحمدية ، الخالدون الذي لهم في كل حين ظهور ليؤدوا دوراً كأعلام للحقيقة وأربابها . وقلت إن من كان من أصحاب النفس الحيوانية فهو يفنى عند موت جسده ويعود إلى التراب الذي منه جبل . أما من كان من مقام الروح فهو من الذات الإلهية انطلق منها وهو عائد إليها ، تفارق روحه بدنه عند موته وترتفع إلى عالم الذر ، أما ماعدا الذر فسر لا يعلمه إلا الله ، وكل مافي الإمكان قوله إنه هو سر الطبيعة وأصلها . فمن الذرة كان وجود العالم المادي ، ومن تحركها بقوانينها ظهر هذا العالم ومافيه من مخلوقات . ولقد حيرت عوالم الأفلاك العلماء الذين كشفوا أسراراً منها وغابت عنهم أسرار .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في قاعة كبيرة وقد حشوت رغيفاً من الخبز الأبيض بالدبس الممزوج بالطحينة . وكان في القاعة بائع يجلس على دكة مرتفعة . ثم ظهر قريب لي اسمه ناجي فأراد أن يملأ علبة كاملة بالدبس فقال له البائع : أين الثمن ؟ قال : لا أملك . ثم تأملت القاعة التي كانت أشبه بسوق كبير قديم له كوى في سقفه يتسرب منها الضوء والشمس . ثم خرجت من القاعة ومشيت حتى وصلت إلى بيت كبير مليء بأصص الزهر والورد والشجر ، فأولمت لي وليمة جعلت آكل منها كوسا محشوة .

التأويـــل

قضية المعرفة أمّ القضايا التي تضاربت فيها النظريات الفلسفية منذ بدأ الانسان يتفلسف ويتساءل عن مغزى الحياة وأسرارها . وانشطر الفلاسفة شطرين ، ففريق قال إن المعرفة تنال عن طريق الحواس ، فالحواس تعاين العالم المحسوس فتنطبع صوره في الذات حيث تحصل المعرفة بعد ذلك ، وكان أرسطو

أقرب إلى هذا الرأي من بقية الفلاسفة . . أما الفريق الآخر فيرى أن المعرفة كامنة في النفس التي ما إن ترى العالم المحسوس حتى تتذكر ماهو كامن فيها من معرفة فتعرف ، ويتزعم هذا الفريق أفلاطون صاحب نظرية المثل الشهيرة .

أما الصوفية فمذهبهم يختلف عن الرأيين جميعا . فالقاعة الكبيرة هي العالم المحسوس ، ورغيف الخبز هو الجزيئات ، إذ الخبز مصنوع من دقيق ، والدقيق ذرور يتألف من أصغر الجزيئات ، ومن الجزيئات يصل الانسان إلى الكليات (الجوامع) ، وهذا ما عبر عنه بالدبس أي المادة الحلوة التي دهن بها الرغيف أي المعرفة .

والرؤيا إذا اقتصر في تأويلها عند هذا الحد يجعل المتصوفة أقرب إلى رأي الفريق الأول في نظرية المعرفة ، ولكن لا.. فاسم ناجي يعني النجوى ، والنجوى صوت خفي . وقريبي ناجي طلب المعرفة إذ أراد أن يملأ علبة بالدبس فسأله البائع أين مالك ، أي أين المعرفة المسبقة التي لديك لكي أعطيك المعرفة التي عندي فقال لا أملك . فههنا اتخذت القضية موقفاً جديداً يكون أصحابه فريقاً ثالثاً في نظرية المعرفة .

فالمعرفة في نظر المتصوفة لا هي مأخوذة عن العالم المحسوس وحده ولا هي خبيئة في ذات الانسان ويلزم رؤية المحسوس لتذكرها . . ولكن المعرفة معتمدة على وسيط هو الذي يحيل جزيئات العالم المحسوس إلى كليات معقولة لدى الانسان ، وهذا الوسيط هو الحق تعالى الذي تولى مهمة التعليم إذ قال : (علم الانسان مالم يعلم) ، والذي يخاطب الانسان عن طريق الوحي لقوله سبحانه : (وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء) .

قال الفارابي : العقل الانساني هيئة ما في مادة معدة لأن تقبل رسوم المعقولات فهي بالقوة عقل وعقل هيولاني . . وهي أيضاً بالقوة معقولة . . وسائر الأشياء التي في مادة أو هي في مادة أو ذوات مادة فليست هي عقولاً لا بالفعل ولا بالقوة ولكنها معقولات بالقوة ويمكن أن تصير معقولات بالفعل . وليس في جواهرها كفاية في أن تصير من تلقاء أنفسها معقولات بالفعل ، ولا أيضاً في القوة الناطقة ، ولا فيما أعطى الطبع كفاية في أن تصير من تلقاء نفسها عقلاً بالفعل بل تحتاج أن تصير

عقلاً بالفعل إذا حصلت فيها المعقولات ، وتصير المعقولات التي بالقوة معقولات بالفعل إذا حصلت معقولة للعقل بالفعل . . هي تحتاج إلى شيء آخر ينقلها من القوة إلى أن يصيرها بالفعل . والفاعل هو ذات ما جوهره عقل ما بالفعل ومفارق المادة . فإن ذلك العقل يعطي العقل الهيولاني الذي هو عقل بالقوة شيئاً ما بمنزلة الضوء الذي تعطيه الشمس للبصر ، لأن منزلته من العقل الهيولاني منزلة الشمس من البصر . فهذا العقل الذي بالفعل يفيد العقل الهيولاني شيئاً ما يرسمه فيه .

وهذا الوسيط واحد وحيد رغم أن الفارابي جعله في المرتبة العاشرة من العقول المفارقة . وهو وحيد إذ كان البائع وحيداً ، وهو عليّ عن العالم إذ كان يجلس على دكة مرتفعة ، وهو عين أعيان الموجودات لأنني عندما تأملت المكان رأيته أشبه بسوق ، والسوق رمز لعالم الموجودات إذ فيه مجمع كل الصفات المرموز إليها بالكوى التي كانت في السقف والتي نفذ منها الضوء والشمس وهما نور الذات الواحد الأحد .

ووصولي إلى البيت الكبير المليء بأصص الورد والزهر والشجر فهو طلوع أنوار هذه الذات الجامعة المعبر عنها بشجرة سدرة المنتهى أو البيت المعمور العامر بالمخلوقات من ملائكة أنوار الصفات وإنس النفوس الناطقة وجن قوى الجسم الكلي النارية فلا يخرجون منه . وهذا المقام هو مقام الجمعية العامة أو الجُمعة وفيه تتم صلاة الجمعة جماعة فيقوم تحت مئذنة لا إله إلا الله الملائكة والناس والجن أجمعون . ومقام الجمعية هذا لا يتحقق به إلا العارف الكامل الواصل ، فهو إمام زمانه ظهر للناس أم لم يظهر ، وهو عارف وقته سكت أم نطق ، رأى الجزئيات مخلوقات وأكواناً أرزاً حشيت به كوسا خضراء جامعة للعوالم فأكل فهضم العلوم اللدنية فاستوى على عرش العلم الإلهي أمة قانتا لله حنيفا غير مشرك بالله أحدا .

*

« رؤيـــا »

رأيتني مع امرأة اسمها هالة وكنت تخاصمت معها بسبب قضية فأقبلت تراضيني ومعها ابنتها ودخلت غرفتي وأحسست أن بي رغبة فيها ولما خرجت ابنتها

من الغرفة رحت ألثمها ثم عرضت عليها المتعة فتمنعت وقالت أما بعد هذا فلا فإن زوجي غيور وكان اسم زوجها ناجي .

التأويـــل

هالة النور والذات الإلهية نور ، وخصامي معها رد الفعل عندي بعد كشف سر الصفات الجامع للأضداد . ووجود الابنة مع الأم كناية عن النفس الجزئية ، وخروجها احتواء الحق للخلق في مقام الفناء فلا بقاء لسواه . ورغبتي فيها شوق العارف إلى الاتحاد بربه ، والتقبيل مقام المكالمة والمشافهة وهو من المقامات الموسوية وهو مراتب الهام ووحي ونفث ثم مخاطبة تامة . ورغبتي في الظفر بها رغبة العارف في الاتحاد ، وههنا ثم مسألة طال الخلاف حولها . فالحقيقة أن ليس بعد القرب مقام ولا درجة وهو مقام قاب قوسين أو أدنى المحمدي ، والفناء هنا فناء مشاهدة وهي مشاهدة صفات لأنني ما رأيت الله عارياً من أي صورة في أي رؤيا ، فلا يتجلى سبحانه ـ وهو النور ـ إلا بما يقع عليه النور وهو الاسم ، ولذلك تجلت الذات الإلهية في صورة امرأة ، والمرأة مؤنثة كناية عن الاسم . وقول المرأة ان زوجها شديد الغيرة ـ واسم الزوج ناجي ـ فالاسم هنا أعلن على لسان الله أن سبحانه غيور لا يسمح لأحد بالاتحاد به ، وكل الأقوال التي وردت في هذا المجال معلنة الاتحاد إنما هو من قبيل تعذر تحديد حال العارف في مقام قاب قوسين أو أدنى . فالله أصل الخلق ، والخلق ظل الحق ، ولكن الظل ليس الأصل وإن كان ملازماً له ، فليس بعد المناجاة ـ من اسم ناجي قرب ولا مقام .

قال الشيخ الأكبر على لسان الحق سبحانه : إعلم أنك لست أنا ، فأنا النور بلا ظل وأنت النور الممتزج لإمكانك ، فإن نسبت إلي قبلتك ، وإن نسبت إلى العدم قبلك ، فأنت بين الوجود والعدم ، وأنت بيت الخير والشر ، فإن أعرضت عن إمكانك جهلتني ولم تعرفني ، فإنه لا دليل لك على أني إلهك وربك وموجدك إلا إمكانك وهو شهودك ظلك ، وإن أعرضت عن نورك بالكلية ولم تزل مشاهداً ظلك لم تعلم أنه ظل إمكانك وتخيلت أنه ظل المحال ، والمحال والواجب متقابلان

من جميع الوجوه ، فإن دعوتك لم تجبني ولم تسمعني فإنه يصمك ذلك المشهود عن دعائي ، فلا تنظر إلي نظراً يفنيك عن ظلك فتدعي أنك أنا فتقع في الجهل ، ولا تنظر إلى ظلك نظراً يفنيك عني فإنه يورثك الصمم فتجهل ما خلقتك له فكن تارة وتارة ، وما خلق الله لك عينين إلا لتشهدني بالواحدة وتشهد ظلك بالعين الأخرى .

*

« رؤيا »

وجدتني مع صديق لي اسمه سعيد ، وهو من مدينة حمص ، وكنا في رحلة فوصلنا قاعة وقف رجل فيها خطيباً يخطب ، ثم تبين أن الصوت ليس صوته وإنما قد صدر عن مسجلة ، وكان الصوت لخالد بكداش زعيم الشيوعيين : ثم خرجنا من القاعة فرافقت قريبة لي اسمها رغداء ، وهي سمراء اللون ، وكانت بيننا مودة ، فرحت أكلمها بصوت خفيض ، فاقترب مني قريبي ناجي وقال : يامحمد قصتكما معروفة ، ثم وجدتني أطل من ربوة على الغوطة الشرقية التي كانت بيوت الفلاحين فيها غارقة في خضرة الأشجار ، ثم وجدتني هائماً بين الشجر .

التأويل

قلنا حمص القلب ، واسم سعيد من السعادة ، وهو هنا إشارة إلى مقام المحبين الذي يلي مقام المتقين ، وفيه يتجلى الله باسم المحب ، فيهيم العاشق وجداً بحبيبه ، ويسوح شوقاً إليه كما فعل ابن الفارض وقيس ليلى وكثير عزّة وسلامة القس وكل من أحب فعفّ عن شهوة النفس الحيوانية فكان حبه روحاً من الله وريحانا .

وقلنا القاعة القلب الكلي الجامع أو الانسان الجامع . والرجل الذي وقف يخطب ثم تبين أن الصوت لا يصدر عنه وإنما عن مسجلة فيرمز إلى النفس الناطقة

التي هي القلب الجامع نفسه . وتسجيل الصوت دلالة على صدوره من وجود بالقوة إلى وجود بالفعل ، فهو صفة كلام الله سبحانه الذي كلم موسى تكليما .

واسم خالد يشير إلى الخلود ، فالنفس الناطقة خالدة، ومعنى كون خالد بكداش زعيم الشيوعيين ان النفس الناطقة كلية ينضوي فيها جميع النفوس الناطقة الجزئية . ففي مقام الجمع ليس ثمة من أفراد وجزيئات ، وليس ثمّ إلا كليات خالدة في فلك الزمان والمكان . ولقد سبق أن قلنا في كتابنا الأول أن الوصول إلى عالم الكليات لا يتم إلا عن طريق القفز من عالم الجزئيات أو الظواهر إلى عالم المعقولات . . وهو يتم بفعل تصور عقلي خيالي .

والخروج من القاعة ولقاء قريبتي رغداء والتحدث إليها بصوت خفيض إشارة إلى النجوى التي رمز إليها باسم ناجي . والمودة هنا بين الإسمين الظاهر والباطن للحق الظاهر بالخلق والذي مثله الانسان الكامل العارف أحسن تمثيل حتى قيل في الشيخ الأكبر إن الله انكشف فيه باعتباره الوجود المطلق . ويرمز لون قريبتي الأسمر إلى التوافق بين البياض والسواد ، إذ السمرة حد وسط بينهما ، والحد الوسط هو النور المحمدي الوسيط بين الذات المنزهة عن الاتصاف بأسماء وبين عالم ظواهر الأسماء .

*

« رؤيـــا »

وجدتني جالساً قرب بائع خضار ، وقد جعل شاب يعزف على البيان ببراعة تامة ، وأوحي إلي أن الشاب قد تعلم العزف بالفطرة . ولقد مر بالشاب أخ له هو سائق باص البولمان فشزره بنظرة غضبى . ثم جعل الشاب يغني فقلت في نفسي أنا أستطيع تقليده . وجعلت أغني بالفعل وقد صدر عني صوت جميل تجاوبت به القاعة التي غصت بالناس .

موضوع الرؤيا الموهبة الخلاقة التي خص الله بها أفراداً قلة من عباده عناية منه بالآخرين وترويحاً عن أنفسهم وخاصة وأن الرسول عليه السلام حث على أن تنال النفس حظها من السرور فقال : روحوا القلوب ساعة فإنها ملول . وقال : ساعة وساعة . . أي ساعة لربك وساعة لقلبك . وكتب الصوفية فصولاً طويلة في أثر الصوت الجميل في قلب الإنسان وقال الغزالي إن السماع يفوق أثره في القلب أثر القرآن ، وشرح كيفية ذلك .

وشن خصوم الصوفية هجوماً على امتداحهم السماع وأثره واستنكروا من الطرق الصوفية الدفوف والمزاهر وحاولوا ان يثبتوا أنه لم يرد عن الرسول شيئا مما يعتمد عليه الصوفية في مجال امتداح السماع ، وأن هذا من البدع .

والرؤيا كشفت عن الحقيقة التي جعلت المتصوفة يتبنون السماع ويدعون الناس إلى سماعه لما له من أثر في القلوب . فلو لم ير الغزالي كشفاً وبالرؤيا ما رأيت لما قام ونقب في بطون كتب الحديث حتى استخرج منها ما يمكنه من أن يتبنى ما أوحت إليه الرؤى والمكاشفات به . فالصوفي لسان ربه يقول له إفعل هذا فيفعل ، وهو خادم الحق لا يخشى فيه لومة لائم . والرؤيا أرتني بائع خضار ذات الألوان المتعددة والبائع إشارة إلى اسمه تعالى الخلاق . والصوت الجميل خلق والعزف على آلة موسيقية خلق ، والأدب من قصة وشعر ومسرحية خلق ، وكل أثر فني خلق .

والإيحاء إلي بأن الشاب تعلم العزف بالفطرة هو رمز إلى هبة الله القدسية التي علم بها عبده ما لم يعلم ، ففاق من خُصَ بالهبة القدسية أقرانه في ميدان الفن فكان نجما سطع في السماء ذات النجوم .

أما أخوه سائق الباص والذي شزره فإشارة إلى النور المحمدي الذي انبثقت عنه الأسماء الإلهية . ولذلك قال عليه السلام إن الله كتب نبوته وآدم منجدل في طينته ، فالنبوة من نبا أي ارتفع ، وحين تم خلق آدم عرض الله عليه حقيقة الأسماء المخلوقة قبله ، فنبوة الرسول القديمة جاءت من هيمنته على هذه الحقيقة الاسمائية التي خلق من أجلها آدم وبنوه .

والنبوة هنا نور وهي فاعلة وأشير إليها بالسائق الذي هو قائد السيارة ، والسيارة جامعة إذ تقل الناس ، ومعنى النظر بالشزر أن على العارف ألا يغفل عن أن الأسماء مجال الحق ومراياه ، وأنه الفاعل بحق عن طريق نوره الأول ذي الجهات ، ثم يأتي دور الأسماء وهي حقيقة الإنسان . فلقد قلت لنفسي إنني أستطيع أن أغني مثل الشاب ففعلت. وههنا لطيفة حبذا لو انتبه إليها أصحاب المواهب فعلموا أن ما بهم من نعمة فمن الله وأنهم ليسوا إلا وسائط للحق ، بهم غنى وضرب على الأوتار ودبج باليراع الأدب والأشعار وخلد روائع الرسوم . فما غنى المغني إذ غنى ولكن الحق غنى ، وهكذا فهمت المتصوفة تسبيح المخلوقات جميعا ، وقد أعلن سبحانه في كتابه ان مامن مخلوق إلا ويسبح بحمده ولكن الناس لا يفقهون تسبيحهم . وقوله مامن مخلوق يشمل الخلق جميعا إذ أفاد المعنى العموم . ولذا توجب على من أوتي حظه من المعرفة والذوق أن يغتسل إثر كل أداء فني يقوم به كما وجب الغسل على من لامس النساء لكي لا يكون قيامه بنفسه بل بالله ، ولا يقول (أنا) بل يقول أنا لسان الحق وموضع هبته استودعنيها فهو الخلاق والمصور والمبدع وما تميز فنان عن العوام إلا بتلك النفخة القدسية التي صيرته مبدعاً من المبدعين .

*

« رؤيـــا »

رأيت شاباً عملاقاً ينتزع رؤوس أفراس ويلقي بها في تنور تتصاعد منه ألسنة اللهب .

التأويـــل

الأفراس جمع فرس وهي دابة راكبة مركوبة . . هي راكبة بحر هيولى قائمة بالله ، ومركوبة من قبل صفات ربانية تجلت فيها . وانتزاع رؤوسها إشارة إلى الموت وهو انحلال عناصر البدن بزوال قوى الروح منه .

والشاب العملاق الذي كان يلقي الرؤوس في التنور هو الروح نفسه تمتد سيطرته على كل رأس وجارحة وعضو من أعضاء البدن الكلي (الهيولى) . والتنور فوران العناصر وتحللها . ولذلك وردت الإشارة في قصة الطوفان في القرآن إلى فوران التنور وردت طوفان الماء إلى هذا الفوران . فمتى فارت عناصر البدن تفرقت وعادت إلى أصلها ، وأصلها ماء خلق الله منه كل شيء حي .

وغرض الرؤيا الحديث عن جبل الأبدان الذي استوى عليه مركب نوح حامل الصفات . فالجبل نسف لما تجلى ربه له نسفاً ، وخر موسى القلب صعقاً ، فلما أفاق بنور ربه سجد لربه إذ رآه في ظواهره . هذا حال العارف أما حال الجاهل فهو كحال ولد نوح الذي لجأ إلى جبل البدن ليعتصم من طوفان ماء الهيولى الأصلية فكانت النتيجة أنه هلك وفني . والفناء هنا لأمواج البحر الذاتي الانفعالي السالب القابل لظهور الصور وهو ما رمز إليه بالأفراس التي هي مراكب طيعة تنقاد وفق طبيعة أعيانها الثابتة . أما الروح المفارق فهو من جنس الروح الفاعل الخلاق الذكوري ، ولذا ورد في قصة الطوفان أن يأخذ نوح في مركبه من كل زوجين اثنين ، والزواج القرين أي المرافق ومن هنا اكتسب خلوده وتعاليه عن طبيعة فناء النفس السالبة الأنثوية الجزئية .

*

« رؤيـــا »

رأيت زوجتي سميرة واقفة إلى جانب قريبة لي اسمها فادية رمضان ، وكان وجه زوجتي قد تحول فصار يشبه وجه القريبة شبهاً تاما ، ثم رأيت مدينة القنيطرة تقصف من الجانبين حتى محيت .

التأويـــل

قلنا السمير الفكر وقلنا إنه أحياناً الضمير وذلك على حسب موقعه من

الإشارة . والإشارة هنا تفيد الفكر ، ولكن الفكر هنا صار إلهياً ، لأن كنية قريبتي رمضان ، ورمضان أحد أسمائه تعالى ، ولذلك ورد في الحديث أن الله اختار من العبادات الصوم وجعله له وحده ، وخص الصائم بثواب رباني خاص . وهذا الثواب أشارت إليه الرؤيا باسم فادية ، والفادي فداء ، والله افتدى ابن إبراهيم عليه السلام اسماعيل القلب بكبش . . والله أثاب من صام فأحسن صيامه بثواب الاصطفاء الرباني المقرر أزلا . والوجه الذات ، والفكر الذات الناطقة ، فتحول الفكر الإنساني هنا إلى فكر إلهي يأخذ عن الحق بلا واسطة . أما مدينة القنيطرة فهي القنطرة بين العارف وربه ، وقصفها من الجانبين قصفها من قبل الصفات وأضدادها ، أي من قبل الخير والشر ، فيصل العارف بعد القصف إلى مقام المحو ، وهو محو الرسوم ، وقد كانت القنيطرة بعد تحريرها من اليهود عام ١٩٧٤ أطلالاً ورسوما ، ولذلك وردت الإشارة إليها بالذات في الرؤيا . ففي مقام المحو لا رسم ولا طلل .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في قاعة سقفها من زجاج كان بعضه مكسوراً ، وكانت السماء الظاهرة من السقف مظلمة . ثم نهضت ومشيت إلى آخر القاعة فرأيت ابنتي جمانة التي أخبرتني بأنها قد طردت قطتي البنية فحزنت وقلت لنفسي : ليتني علمت قبل حدوث الحادث لكنت حلت دون وقوعه فلقد ظلت القطة عندي اثني عشر عاما . .ثم وجدتني في سيارة كبيرة وفيها فتاتان أخبرتني إحداهما أنها لم تعد تأكل اللحم لأن ثمنه غال ورائحته غير زكية.. ثم وصلنا إلى جبل فرأيت صديقاً لي يصعده ويهبطه ، وكان صديقي يضع نظارة طبية . . ثم وصلت إلى مدرسة كانت عبارة عن مدرج كبير مليء بالبنات فأخبرنني أن الطعام في المدرسة رخيص ، فعشرة أقراص فلافل بفرنك وصحن الفول والحمص بنصف ليرة . .ثم وجدتني في مركز لانطلاق السيارات ، وكان فيه إبني إبراهيم الذي أخبر ابن عم لأبي إسمه إبراهيم أيضا ،

وهو سائق سيارة ، أخبره أن إبنه أسعد نال الإجازة باللغة الانجليزية وصار أستاذاً فيها .

التأويـــل

القاعة المعتمة الدنيا ، إذ كل محسوس كثيف وكل كثيف معتم . والسقف الزجاجي دليل على هبوط القلب إلى درجة النفس الحيوانية ، إذ الزجاج يرمز إلى الشفافية ، والظلام إشارة إلى ما يرين على القلب وهو غارق في الشهوات النفسية . وفي الوصف لطيفة وهي أن الإنسان الواقع تحت رين ظلمة النفس معرض دائماً لنكد النفس وتقلباتها فلا سقف قوي له يحميه من ظلمات الجهل والشك .

والقيام يقظة المتصوف ، ولقائي بابنتي جمانة ظهور جوهرة التوحيد . أما قصة طرد ابنتي للقطة البنية التي ظلت عندي أعواماً طويلة فرمز إلى موت النفس الحيوانية ، إذ هي مخلوقة مع الجسم وقائمة معه وزائلة بزواله . . ولون القطة البني اكتسبته من قرب النفس الحيوانية من سواد كثافة المحسوسات وتعلقها بها ولهذا قالت المتصوفة إن القلب يتعلق بالجسم من جهة النفس الحيوانية . فالرؤى منابع العلوم التي منها استمد العارفون علومهم وعباراتهم وحتى اصطلاحاتهم . وقولي لنفسي ان لو علمت بما سيقع للقطة لما سمحت بوقوع ما حدث هو حزن العارف على ضياع نفسه ـ الجسمية وهو يراها قد أدرجت في الفناء .

والسيارة سفر ، والسفر هجرة إلى الله ، والفتاة صفة للنفس . . وتصريح الفتاة بأنها قد استغنت عن أكل اللحم تأكيد نسك السالكين الذين انقطعوا للعبادة ففارقوا الدنيا وزينتها ، وقد أجاز الرسول ذلك لبعض أصحابه الذين اعتزلوا في ناحية من المسجد متفرغين للعبادة . والوصول إلى الجبل ورؤية صديقي الصاعد الهابط والذي وضع نظارة طبية فهو الوصول إلى مقام المتقين وفيه ينكشف الغطاء عن بصر السالك فيصير بصره حديداً ، وهو ما رمز إليه بوجود النظارة التي تصحح رؤية العين المريضة وتقويها ، والعين القلب ، والصعود والهبوط إشارة إلى سابقة الحسنى الإلهية التي خصت الموحدين ، فهم موحدون أزليون ما نزلوا إلى عالم الطبيعة

والأبدان أو فارقوها . وقال الشيخ الأكبر إن الموحد سيوحد بالإجبار لأن عينه قضت أزلاً أن يكون كذلك .

والمدرسة مدرسة العلوم الصوفية ، والبنات أسماء الله الحسنى ، وتصريح البنات بأن الطعام في المدرسة رخيص غير كاف فرمز إلى أن الاكتفاء بعلوم توحيد الصفات أي الأسماء غير كاف لتحصيل العلوم الإلهية كلها . فأقراص الفلافل العشرة الحواس الظاهرة والباطنة ، والأولى متعلقة بعالم الظواهر والثانية بعالم المعقولات . فالاستقراء وهو الوصول إلى المعقولات من معاينة المحسوسات ، والقياس وهو تحصيل العلم بالاستناد إلى الكليات ، لا يكفيان للوقوف على علم الغيب المطلق الخاص بخاصة الخواص من رجال الله . ودل على هذا الإشارة إلى الفول والحمص ، إذ كلاهما لب كله لا أثر للجزئيات المحسوسةفيه كثمرة التين مثلا . فحتى عالم المعقولات المحض لا يجدي في إماطة حجب الغيوب الربانية . ولذلك ازدرت المتصوفة كل جهود العقلانيين من أجل الظفر بدرة الحقيقة الكونية الإلهية المسماة بعلم الغيب . ومن هنا حصّل المسيحيون والأفلاطونيون نصف الحقيقة بكشفهم عالم الماهيات ، ولكنهم جميعاً عجزوا عن معرفة الحقيقة كلها وخصوصاً علم ماهية الماهيات الأزلية المطلقة وكيف تكون وكيف تتصرف . وفي هذا ألف الغزالي كتابه المشهور (تهافت الفلاسفة) ، ووضع كتابه (المنقذ من الضلال) مستعرضاً فيه آراء جميع فرق المتكلمين والفلاسفة مؤكداً عجزهم عن الوصول إلى الحقيقة المطلقة ومعلناً أن أرباب الأحوال الربانيين هم وحدهم الذين ظفروا بجمان العلم الدري .

ومركز انطلاق السيارات هو مركز تجمع فهو عين الجمع . وابني إبراهيم رمز للولادة الإبراهيمية الموحدة الجديدة . وقوله لابن عم أبي إبراهيم إن إبنه أسعد نال الإجازة في اللغة الانجليزية فإشارة إلى سعادة(أسعد) العارف في استيعابه لغة الإشارة وتمكنه منها . ولقد ظللت زمناً طويلاً أؤول اللغة الإنجليزية على أنها علم النفس لكونها عالمية ، ولكنني ما لبثت أن رأيتني أتكلم الفرنسية ، ولما كنت أجهل هذه اللغة فلقد أخذني العجب والشك ، ثم رأيتني أتكلم الأرمنية فالروسية ففطنت إلى المغزى بعد سهر ليلة بكاملها أفكر في المقصود من هذا الرمز الذي تعصى علي كشفه . وفي إحدى الليالي بلغ بي الجهد والضيق درجة سألت ربي معها ان لماذا لا

يظهر لي شيخاً في الرؤيا يعلمني ما يريد . . فلما نمت ظهر لي الشيخ ولكنه أخبرني أنه مكلف بأن يقول لي أن استخدام الصور هو علم التأويل ولابد مما ليس منه بد . وهذا العلم قديم وشهير وسمي أيضاً بالتعبير ، وجاء في أمثلة التعبير بحسب الاشتقاق أن رجلاً رأى أنه يأكل سفرجلاً فقال له المعبر تسافر سفراً جليلاً ، لأن كلمة سفر جل مركبة من سفرٍ جَلٍّ وجاء في رواية حديث عن الرؤيا : اعتبروها بأسمائها وكنوها بكناها . . أي قد تعبر الرؤيا من الأسماء والكنى كالهُدى من رؤية الهدهد والغربة من رؤية الغراب .

*

« رؤيـــا »

رأيت زميلي أحمد الحجي قد وقف خطيباً في الناس في موقف الجسر بحي المهاجرين وكنت أتأمله قائلاً لنفسي لا فضل له،إنه لم يعد الخطبة من قبل ولا هو ارتجلها ارتجالاً ، بل لقد قرأ موضوع الخطبة في صحيفة عندي وبمكتبي بوزارة الاعلام عند الصبح ، وأيد رأيي هذا عندما وصل زميلي إلى مقطع من الخطبة فنسيه فتردد وتحير وتلجلج وعبثاً حاول مواصلة خطبته فلم يستطع وأخيراً قال : من سمع عن قطعة نقود ذات خمسة قروش فليرها هنا وأشار إلى حائط من قرميد خلفه . ثم رأيت شخصاً أسود اللون أعرفه يتبعه ولد له أسود مثله فقلت إبن الأسود أسود .

التأويـــل

موضوع الرؤيا الصلة بين اللسان والفكر من جهة والصلة بين الفكر والوحي من جهة أخرى . والفكر هنا القلب لأنه جاء في الأمثال أن اللسان يتكلم من فضلة القلب . والقلب هنا واقع تحت جبروت الخواطر ، وجماع الخواطر جبارها الحق سبحانه . ومهما أسرع الإنسان في الكلام فإنه قبل أن يلفظ أي كلمة يفكر فيها ، ولحظة التفكير هذه هي الصلة بين العبد وربه وعبر عنها بموقف الجسر في الرؤيا أي

الجسر بين الفكر واللسان . وفي الحديث أن الله يحول بين المرء وقلبه ، فالقلب في قبضة الرحمن وما صوت العالم إلا صوته . فالفكر هنا طفل في أحضان أمه الوحي تبثه الأفكار فيتلقفها ثم ينطقها بلسانه وكأنها من ينبوعه هو . . ولكن العبد مظهر الحق ولسانه . وأكدت الرؤيا هذا عندما قلت لنفسي إن زميلي لم يرتجل الخطبة ، أي لم يخلقها هو بل قد قرأها في صحيفة عندي بمكتبي بوزارة الإعلام عند الصبح ، أي قد ثبت كشفاً أن الله هو الذي ألهم النفس فجورها وتقواها ، وشهد على ذلك النبي عليه السلام عندما سأله رجلان من مزينة عن أعمال الناس هل هي مقضية عليهم من قدر قد سبق أو من خَلْقهم هم وتثبت الحجة عليهم ، فقال : لابل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) .

فالصبح إشراق نور التوحيد ، والإعلام عِلم ، والصحيفة الاطلاع على سر اللوح المحفوظ في حقيقة الوحي الذي ظاهره الفكر ، وظاهر الفكر اللسان . وأيد هذا في الرؤيا قول زميلي إن من سمع عن قطعة نقود من خمسة قروش فليرها هنا . وقطعة النقود الحاسة المشتركة بوابة الحواس الباطنة الخمس التي جماعها الفكر . أما الرؤية فهي الرؤيا أو اليقين ، والحائط سند ، وقد ورد في القرآن الكريم على لسان الخضر أنه كان تحت الحائط كنز ليتيمين في المدينة ، والكنز العلم ، والعلم مأخوذ من الروح الذي أيد الله به المتقين ، ولذلك ظهر الحائط من قرميد أحمر والأحمر لون الروح .

والشخص الأسود إشارة إلى الصفة وهي هنا كلية ، وولده الأسود ظهور الصفة والظهور جزئي ، ولقد تبع الولد أباه في سواده ، ولذلك قلنا في كتابنا فتح الوجود إن الموصوف يتبع الصفة وإن الفكر الهي . وأما التطابق بين الصفة والموصوف فهو داخل من باب الأدب مع الله فنقول هنا صفة النفث هنا وسوسة ووليها الشيطان ، أما من باب الجبر والقهر فالسواد والبياض جميعاً لله ، له الأمر من قبل ومن بعد . وقال نوح عليه السلام مخاطباً قومه : (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) . وجاء في الكتاب أيضاً : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام . ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد في السماء) .

كنية زميلي حجي فهو حاج والحاج مهاجر إلى الله ولذلك رأيت زميلي في موقف الجسر بحي المهاجرين ، والجسر صلة العارف بين الخلق والحق ، فهو كما قال فيه الإمام علي : لسان حال الله وترجمانه . وخطبة زميلي كانت في الناس ، وكنت أعلم أنه لا هو واضعها ولا فكر في موضوعها أيضا بل قرأ الموضوع عندي في صحيفة . وهنا إشارة إلى علم العارف المصنوع على عين ربه ، وقد علمه ربه مالم يعلم وذلك في إشراق فجر التوحيد . وكلام العارف موحى به من عند ربه ، وبتّه قضايا الدين الكبرى كمسائل القضاء والقدر والحرية والجبرية وماشابه هذا البت قائم على مكاشفات ذوقية تلقاها كما هي بلغة الرمز والإشارة . والكتب التي يضعها العارف لا فضل له فيها إلا أنه ناقل وقد أشرنا إلى هذا في المقدمة كما أوردنا في قسم (الإملاء) من هذا الكتاب نصوصاً أمليت علينا إملاء كما ورد خبر ذلك عن الشيخ الأكبر .

أما قضية تردد زميلي بعد نسيانه مقطعاً من الخطبة ففي هذا إشارة إلى ما قاله الشيخ الأكبر في الوحي : يا أيها الولي إذا زعمت أن الله أوحى إليك فانظر في نفسك في التردد أو المخالفة فإن وجدت لذلك أثراً بتدبير أو تفصيل أو تفكر فلست صاحب وحي فإن حكم عليك وأعماك وأصمك وحال بين فكرك وتدبيرك وأمضى حكمه فيك فذاك هو الوحي .

فنحن هنا في مجال فصل بين وحي إلهي وهو وحي العارف وهو وحي قوي بات حاسم لا أثر للتردد فيه وبين وحي نفسي وفيه يظهر أثر التردد والتفكر ، ولقد أوردنا التأويلين حرصاً منا على الجمع بين حقيقتي الوحي ، وعندنا أن ما ثـمّ إلا الله هو الباطن والداني والقريب .

قال الشيخ الأكبر : يقال خاطر شيطاني وهو حديث رباني وقول إلهي لما أراده الحق قال له كن فكان فناجاه الاسم البعيد ، كما يتلقاه من الحديث الإلهي في الخاطر الملكي الاسم القريب،كما يتلقاه من الحديث الإلهي في الخاطر النفسي الاسم المريد ، كما يتلقاه من الحديث الإلهي في الخاطر الرباني الاسم الحفيظ ، فهذه الخواطر كلها من الحديث الإلهي الذي لا يشعر به إلا رجال الله .

*

« رؤيـــا »

رأيت حما (والد زوجة) أخي رأفة ، وهو من سكان اللاذقية ولقبه أبو فؤاد ، وهو كهل في الستين من عمره ، ولكني رأيته في المنام رجلاً قوياً له شعر طويل أصيل وكتفان عريضتان وألواح عظيمة كما كان خالعاً سرواله الطويل وبدا بسرواله الداخلي القصير ، وطلب الرجل إلى أخي أن يقدم القهوة فسألته : أما زلت تذهب إلى المقهى ؟ فقال : أحياناً أذهب وأحياناً أبقى في البيت .

الفؤاد القلب ، وأبو فؤاد هو الروح الذي يستشرفه القلب من إحدى جهتيه وصنو الذات الإلهية ، لذلك كان أبو فؤاد من أهالي اللاذقية ، وهي مدينة بحرية ، والبحر هو الذات لاتساعه . أما رؤيته قد تبدل من كهل إلى رجل قوي فالقوة هنا قوة الروح الفعال ، والروح الفعال فعال عن أمر ربه ، وفعله دائم متجدد ينسحب من الأزل إلى الأبد ، لذلك بدا في الرؤيا عريض الكتفين والألواح . . وطول الشعر رمز إلى نبوته أي إلى علوه ، والعلو ليس علو جهة بل علو أثر وتأثير . وظهوره بسرواله الداخلي رمز إلى كونه قوة النفس الحيوانية أو قوة الحياة ونشاطها ووقوفه وراء كل فعل ، فما تحت السروال الداخلي هو رمز الفعل والسروال ستار أي حجاب .

وطلب الرجل إلى أخي أن يقدم قهوة فالقهوة العقل لأنها بُنية أي متوسطة بين بياض النور وسواد المحسوسات . والتوزيع منطلق عن أمر حمي أخي ، وهو عين أعيان الموجودات إلى الموجودات ، ولذلك سمي هذا الروح في الفلسفة بالعقل الفعال الأول ، وجُعل مفارقا للمادة أي عاليا عنها . ثم إن هناك مسألة الوحدة والكثرة في الكون ، فعلى الصعيد الفلسفي لا حل لمشكلة الوحدة والتكثر إلا عن طريق الوسيط الواحد ، المتكثر ، وهو هنا الروح الكلي أو ما ندعوه بالنور المحمدي . فالله سبحانه لا يتكثر أما النور المحمدي فشعشعاني منطلق من مركز إلى محيط . . ولذلك سألت الرجل هل ما زال يتردد إلى المقهى ، والمقهى مكان عام يضم الناس أي الكثرة ، وقلنا القهوة العقل ، فقال : أحياناً أذهب وأحياناً أبقى في البيت . فالعقل الكلي هو من جهة متكثر ، وهو جماع العقول الجزئية الموزعة بين

المخلوقات ورمز إلى ذلك بالمقهى ، وهو من جهة أخرى واحد وحيد موجود في القلب الكلي للكون وعُبر عن ذلك في الرؤيا ببقاء أبي فؤاد في البيت أحياناً أخرى ، والبيت القلب .

تبقى ثمّ كلمة تقال في هذا الصدد وهي أن المتخصصين في الفلسفة وحدهم هم الذين يقدرون الحاجة إلى وجود وسيط كوني نوراني بين الحقيقة الأحدية غير المتكثرة والوجود العياني الكثير بظهوراته . وغير هؤلاء ينتقدون أعلام التصوف لتبنيهم نظرية الوسيط وخاصة بعد أن ثبتت لهم كشفاً وبالرؤى أنها صحيحة .

وأنا هنا وبهذه المناسبة أحب أن أعرض رؤياي التي وصفتها على أحد من هؤلاء وليحاول أن يؤولها مثلا .

*

« رؤيـــا »

رأيت زوجتي سميرة قد وضعت ثم أعطتني مالاً وقالت لي : هذا لك ، ثم رأيتني أمشي بالقرب من مجلس الشعب ، وإبني إبراهيم يعدو خلفي مرتدياً كنزة بيضاء صوفية . فقلت لنفسي : لن أقبل هذا الولد مادام مرتدياً ثيابه القديمة ولم يبدلها ، ثم اشفقت على زوجتي فقبلت الوضع من أجلها .

التأويـــل

في سورة مريم جاء أن مريم وضعت المسيح عليه السلام وهي بتول بكر لم يمسسها بشر . والإشارة هنا إلى النفس التي ستضع مسيح الكلمة الإلهية الممنوحة من الله للبشر . فمن داخل النفس ينبجس ماء علم الذات ولذلك رأيت زوجتي قد وضعت ثم أعطتني مالا والمال علم . فالعلوم الصوفية كلها قائمة على علم النفس ، ومِنْ كَشْف سر التضاد النفسي يصبح الصوفي موحداً ، ولذلك قال عليه السلام :

من عرف نفسه عرف ربه . والتوحيد شامل لذلك وجدتني في الرؤيا أمر بمجلس الشعب وهو هنا رمز الشمول والجمع . ورؤية ولدي إبراهيم مرتدياً كنزة صوفية بيضاء فترمز إلى انكشف سر الصفات . فالكنزة من الصوف ، والصوف صوفية ، وكونها كنزة يلبسها الصدر إشارة إلى مقام القلب الذي موقعه الصدر . واللون الأبيض هو النور الأبيض ، وعدم قبولي ولدي بهذه الملابس ترجمة لحال العارف الذي خاض بحار الحقيقة يحدوه الأمل إلى رؤية ربه ورفع السدود المضروبة دون الغيوب فإذا به يخرج من تجربته وقد علم بالكشف أن الذات الإلهية لا ترى ، ولا تُرى إلا ظواهرها التي هي أسماؤها المتشخصة . صحيح أن الرسول بشر أهل الجنة بأنهم سيرون ربهم يوم القيامة رأي العين ، ولكن ما يراه من قامت قيامته وشهد البعث والنشور هو الاسم الظاهر للرحمن الذي بطن الخلق فكان عينهم وظهروا هم به . وقد قال الشيخ الأكبر في هذه القيامة والبعث : إن العارفين يظهرون هنا كأنهم في الصورة الدنيا لما يجري عليهم من أحكامها والله تعالى قد حولهم في بواطنهم في النشأة الأخروية ، فهم بالصورة مجهولون إلا لمن كشف الله عن بصيرته فأدرك . فما من عارف من حيث التجلي الإلهي إلا وهو على النشأة الآخرة ، قد حشر في دنياه ، ونشر في قبره ، فهو يرى مالا يرون ويشهد مالا يشهدون عناية من الله ببعض عباده في ذلك .

والخيبة التي تصيب العارف ههنا لا توصف ، فهو قد شهد ربه أو على الأصح ظهور ربه كما يشهد الناس البدر ليلة التمام . فالقمر يعكس نور الشمس ، وأنى للعين أن تحدق إلى نور الشمس الذي يبهر الأبصار . . أما القمر فقد عكس هذا النور صفاتاً تشخصت في أشباح عالم الحس فكونت اسم الله الظاهر والباطن ، ومن هنا وجب نفي القمر والعودة إلى الشمس . قال الشيخ الأكبر : اجتهد أن تغيب قمرك في شمسك . وقالت عائشة أم المؤمنين : أخذ النبي عليه السلام بيدي فنظر إلى القمر فقال : ياعائشة إستعيذي بالله من شر هذا ، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب . والنبي عليه السلام كان يومىء بالإشارة لتفهم العبارة ، وإلا لِمَ قال عن جبل أحد هذا جبل يحبنا ونحبه . . وكيف يحب الجبل إنسانا ، وكيف لا ينبغي على الفطن أن يفهم سر إشارة النبي إلى جبل أحد والحق سبحانه هو الموصوف وحده بالأحدية ، وكيف لا ينبغي أن نتجاوز عبارة النبي عن القمر إلى ما ورائها ؟

ولقد اختلفت المتصوفة حول إمكان رؤية الله بالعين المجردة ، وأنكر الشيخ الأكبر ذلك . أما قوله بأن الله قد منّ عليه برؤية وجهه الكريم فوجهه تعالى هو مجموع أسمائه ، ومجموع أسمائه عالم الموجودات ، فوجهه هو العالم من باب التشبيه ، وهويته سبحانه عين العالم من باب التنزيه ، وبين الوجه والهوية وقفت المتصوفة التي رأت ظهور الحق وما رأت هويته ، وسمى الشيخ الأكبر هذا الحال بالحيرة . فإذا سأل سائل ما جدوى رؤية الله من خلال ظواهره أجبنا بما أخبرت عنه الرؤيا عندما قلت فيها لنفسي إني سأقبل ولدي بملابسه القديمة من أجل أمه سميرة الذات الناطقة التي طفرت حائط العقل فاطلعت أسرار الغيب المتجلية بعلم الكشف من خلال استعمال لغة الأسماء الحسنى فصار صاحبها حكيما إلهيا عارفا بالله . ولهذا أيضا سمي العارف عارفا بالله أي بواسطته أي بواسطة أسمائه التي علمها آدم . أما معرفته تعالى بالذات فذلك فوق مطال البشر وهي في يد رب البشر ، ولذلك قال الجنيد : لا يعرف الله إلا الله .

« رؤيـــا »

رأيتني في موقف الشهداء في شارع الصالحية ، والناس صائمون وأنا مفطر ، وقد توجهت من فوري إلى مطعم لأكل فوجدت بدل المطعم محلاً لبيع الملبوسات . ثم مضيت إلى قنطرة كانت هناك فوجدت عندها حجاجاً إيرانيين سقط منهم مال فأخذته وأسرعت في شارع متعرج ضيق ، ثم شعرت أن أحداً يلاحقني فأردت التأكد فلما عدت صح ظني ووجدت يهودياً اشتجرت معه فتبعثر ما كان يحمله وهو كرسي خشبي .

التأويـــل

صوم السالك غير صيام الناس وفي غير وقت صيامهم وكم من سالك ظل صائماً السنين الطويلة حتى أسرف على نفسه فنجاه ربه برحمة . وإفطار السالك غير

إفطار الناس وفي غير وقت الفطر عادة ، فعيد فطره رهين بالفتح المبين الذي يأتيه من ربه مبيناً بيقين ، وهـذا الإفطـار الفتحـي دلـت عليه الـرؤيا بوصـولي إلى موقف الشهداء ، إذ الشهيد من شهد مقامه وقدره في ليلة القدر ، وعيد الفطـر احتفـال بالوصول إلى هذا المقام الرباني . والوصول إلى محل بيع الملبوسات الجديد فاللباس الجديد الدين الجديد ، والدين الجديد هو مقام الإحسان الذي يعبد العبد ربه فيه كأنه يراه مدركاً أنه سبحانه يدرك الأبصار . فبإدراكه الأبصار شاهدته البصائر .

والقنطرة الجسر أو الصراط أو البرزخ الفاصل بين عالمي الشهـادة والملك . والحجاج مقام التوحيد ، فإيران تقع في الشرق ومن الشرق تطلع شمس الذات . ولما بلغ ذو القرنين هذا المقام وجد عنده قوماً لم يجعل الله لهم ستراً أي حجابـا . فهاهنا ارتفع حجاب الكثرة بين العبد والرب ، فصار الأنا هو ، وهو ما عبـر عنه بسقوط مال علم التوحيد من الحجاج فأخذته.وعدوي في الشارع وشعوري بأن ثمة من يلاحقني هو تحققي بالعلم الذي فزت به وذلك بعثوري على اليهودي الذي همّ بقتلي . وههنا إشارة إلى النزاع الأبدي الواقع بين علماء علم الظاهر وأقطاب علم الباطن ، إذ اليهود هم أهل الظاهر وهم أصحاب أول شريعة سماوية أنزلت من السماء ألواحاً على موسى ؛ فالأولون ، وهم الفقهاء أهل الفتاوى ، وبعض هؤلاء متعصبون متمسكون بحرفية كتاب الله وسنة رسوله ، لم يكشف لهم النقاب ليميزوا ما تشابه من آيات كتاب الله من محكمات هذه الآيات فحاولوا تأويل ما تشابه منه فما استطاعوا أن يتعدوا الحجاب إلى اللباب ، وظلوا ظاهر أسوار علم التأويل المنيعة يختصمون ، قد تفرقوا شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون . ولما رأى هؤلاء أولياء الله قد تكلموا بعلم التأويل حسدوهم وغاروا منهم وحملوا عليهم وحاولوا أن يؤلبوا الناس عليهم أيضاً . وكانت الحرب الأبدية بين فريقي علم الظاهـر وعلـم الباطن ، وكانت من نتائج هذه الحـرب أن قتـل الحـلاج والسهـروردي صاحـب المدرسة الصوفية في بغداد ، وآخرون كثر .

ولقد أثار الشيخ الأكبر ثائرة فقهاء عصره إذ أول كتاب الله تأويلاً جعل العالم حتى يومنا هذا يقف حائراً مبهوتاً أمام عظمته وغرابته . أما الغزالي إمام أهل السنة والمتصوف السني فلقد طعنوا فيما أورده من أحاديث رسول الله فقالوا إنها ضعيفة أو

موضوعة وما علموا أن أصحاب الكشوفات قد علموا بالمكاشفات ماهو الصحيح من الأحاديث وماهو الضعيف والموضوع .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في سوق البزورية وقد تحول إلى خان ربطت فيه أحصنة قيل إنها ملك لمعاوية . ثم وصلت إلى مكان يجلس فيه صديق لي اسمه صبحي ، وكان في عينه مرض فمرر طبيب آلة على أجفانه فشفي ، وحدث هذا كله بأقل من ثمانين ثانية . ثم وجدت خالي صلاح ومعه جدتي وداد ، وكان خالي مصاباً بإسهال ثم أمسكت أمعاؤه . ثم جلست على كرسي وفحصني الطبيب فوجد في كتفي شامة أدخل آلة فيها ثم أدخل آلة أخرى تحت لساني وقال : هنا شيء لا يمكن استئصاله .

التأويـــل

قلنا الســوق المجمـع وهـو للمخلوقـات ، والأحصنـة مفردهـا حصـان أي حيوان ، والأحصنة ملك لمعاوية ، ومعاوية من بني أمية ، وأمية تصغير أمة ، وأمة الإنسان نفسه وقواها التي سخرها الله له ، فالمعنى إذن أن الجسم الكلي الذي هو العالم المرئي هو ظاهر النفس الحيوانية التي سخرت لآدم الذي خُلِقَ على صورة الله ومثاله . وقلنا إن علينا دمج الجزيئات في كليات للوصول الى معان فلسفية توحيدية جامعة . فالحيوان أي حياة ، وكل ما ظهرت فيه قوى الحياة يندرج في اسم النفس الحيوانية التي كان الإنسان بشقه الحيواني أحد مظاهرها . وواضح أن النفس النباتية مثلاً يندرج فيها الإنسان والحيوان والنبات ، كما أن من الواضح أن صفة الغضب يندرج فيها الأسد والإنسان . فالأحصنة الموجودة في سوق مجموعها الجسم الكلي المعبر عنه بالحياة .

ووصولي إلى صديق اسمه صبحي هو إشراق نور القلب وقت الوصول إلى

اليقين . وأما إصابة العين بالمرض وشفاؤها بسرعة فههنا لابد من الحديث عن الصلة بين عين الشيء والشيء لغموض حقيقة هذه الصلة الجوهرية عند معظم الناس .

فعين الشيء صفته زائد حركته ، وحركة الشيء ما يقوم به الشيء . وواضح أن العطالة أصل المادة ، وأن حركة المادة شيء يضاد طبيعتها ، ولهذا قلنا أن لابد للمادة من نَفَس رحماني يحركها ، ومن دون هذا النفس ما أبصرت عين ما أبصرت . فمعلوم أن الإبصار يتم بانتقال صورة المبصرَ إلى العين التي لها عصب متصل بالدماغ ، ومعلوم أن فعل الرؤية لا تتم في العين بل بواسطة مركز البصر الموجود في الدماغ . ولقد طال النقاش في ماهية الدماغ وآلية عمله . ورأينا أن لكل شيء آلة ، والدماغ آلة التفكير وآلة الحركات الإرادية وغير الإرادية . ونحن لن نقلل من أهمية الدماغ ولكننا لن نسلم بأن الدماغ قد عمل بآلية تلقائية مبدؤها ميكانيكية الحياة نفسها ، فهذا أمر يقودنا إلى التساؤل عن مبدأ الحياة وكيف تبدأ وكيف تموت . والمتصوفة لا يفصلون بين المادة والروح ، لأن المادة مجال الروح ، ولا يقللون من أهمية المادة لأن من الواضح أن إصابة الدماغ بعلة يعطل نشاط الروح . . كما لو أن سيارة تسير بالوقود ويقودها سائق فتعطلت فبطل عمل السائق والوقود ، فلا فاصل بين السيارة وقواها من جهة والوقود والسائق من جهة أخرى .

فإذا عدنا إلى الحديث عن الحركة قلنا إنها نتيجة فعالية الروح الفاعلة في المادة أو النفس المنفعلة . والسرعة في الشفاء التي ضربت مثلاً في الرؤيا ترمز إلى ضرورة عدم إقامة أي حد فاصل بين الفاعل والمنفعل ، بين الروح والمادة ، أي بين اسمي الله والباطن والظاهر . فلا ثنوية في وحدانية المتصوفة ، وهذا هو خلاصة كتاب الشيخ الأكبر (فصوص الحكم) الذي أصر على تجاوز كل فصل بين الله وظواهر أسمائه . فما خرج عنه إلا هو ، بل حتى فعل خرج هو من باب التسمية فقط ، أما من حيث الفعل فإن ظاهر وجود الله هو العالم باعتباره صورة له ، وباطنه هو هو باعتباره هويته . وواضح أن لا مجال للخوض فيما رميت به المتصوفة من تهم بالحلول والالتحاد وماشابه فما ثم موجود إلا هو . ولئن تحدثنا عن عطالة المادة وسلبية المتحرك إذا جرد من حركته فلكي نؤكد أن الله هو العلة الفاعلة ، وهو لا يفارق ظواهره ، إذ لا مجال لكي نضع كلمة مفارقة بين الله وظواهره ، ولا مجال لأن نقول إن الله حل في

العالم أو اتحد به . فالعالم كمظهر ليس موجوداً إلا بالله ، والله كهوية هو حركة العالم الخفية . فإذا كان بالاستطاعة أن نجرد إنساناً من اسمه فيبقى هو هو من دون اسم ويبقى إسمه من دونه هو هو فباستطاعتنا عندئذ أن نفصل بين الله والعالم ، أو أن نقول إنه حل فيه أو اتحد به . وواضح أن الاسم هوية من تسمى به ، وواضح أن الهوية تنتمي إلى عالم المعقولات ، وأن من تسمى بالاسم ينتمي إلى عالم المادة ، وواضح أن الاسم والمسمى صورتان لحقيقة هي المدعوة بالله أو الرحمن الذي انتشرت منه صور الإمكانات الرحمانية المعبر عنها بالوجود الحي .

وظهور خالي صلاح الدين ومعه أمه وداد فهو الود وهو اصطفاء الله لعبده . أما إصابة خالي بالإسهال فرمز إلى مادته الجسمانية والشوائب الطبيعية والعناصر . والإسهال حركة والإمساك ضدها . ففي الإمساك خروج من فلك الحركة المادية إلى سماء الغيب الواقع خارج فلك الزمان . ففي مقام اليقين يدخل العبد في مقام الروح فلا يبقى عليه أثر من أنية أناه المدرجة في ظواهر الحركة الدائرة في حلقة العدم .

وأما فحص الطبيب لي فههنا إشارة إلى ظهور الولي . فالطبيب وجد شامة في ظهري ، والظهر ظهور ، واسمي محمد يدل على ظهور الانسان الكامل حامل الأسماء الحسنى كلها ومحصيها . . من الغيب المغيَّب فيه،نجم علم من نور نجم يضيء زيته ولو لم تمسسه نار . والنجوم عيون الملأ الأعلى ، ثابتة لأنها أرواح أزلية فاضت عن الروح الأول . ولهذا لم يستطع الطبيب أن يزيل الشامة ، ثم فحص لساني وقال : هذا شيء لا يمكن استئصاله أي لا مجال للعدم عليه . فهو ظهور لعيان ثابت إن تشخّص فمآله إلى عالم العين المحض ، ولهذا مكن في مقامه فهو عند ربه في مقام مكين .

*

« رؤيـــا »

رأيت زميلا لي كنيته غنم يجر شجرة عظيمة مقطوعة ، ثم ظهرت خراف صغيرة وكبيرة يقودها راع اسمه عبد القادر ، فسأله رجل : أليس اللحم واللبن

متوفرين هذا العام ؟ فقال بلى . ثم ثارت الخراف وتفرقت في كل اتجاه ، فحمل رجل خروفا ألقى به على باب محل فوقع الخروف على حَمل صغير هجين كأنه طَرَح أسقطته أمه .

التأويل

الشجرة التي جرها غنم إشارة إلى أغنام الحواس ، وسميت غنما لانقيادها لأوامر الروح . والحواس ظاهرا جسم الوجود الكلي ، وباطنا عين الوجود الكلي . والشجرة المقطوعة رمز إلى قطعها عمن ظهرت به واتصلت ، فهي مقطوعة أصلا موصولة وصلا . وتبعيتها إلى لبن الأغنام الذي سأل الرجل الراعي عبد القادر عنه فهي تبعية الحواس الى النور الذاتي ، لأن اللبن أبيض ، والنور أبيض ، والنور فاعل ، والحواس آلات لتحقيق فعله ، فلذلك كان راعيها اسمه تعالى القادر . وهياج الأغنام إشارة إلى تفرقها في الجسم الكلي الذي هو جماع عالم الأجسام .

وإلقاء خروف على حمل صغير موجود عند باب محل إشارة إلى من حاول القول إن شجرة الحواس بعضها من بعض ، أي نفى تبعية الحواس للجسم الكلي ، أي رد الحواس الجزئية إلى الأجسام الجزئية ، أو كما لو قلنا الولد ذرية الأب . ونحن لسنا ضد قانون الوراثة الذي يفترض مجيء الأبناء من الآباء ، ولكننا ضد ميكانيكية القوانين غير المستندة أصلا إلى فعل حيوي خلاق سرى في الوجود ظاهرا وباطنا . فإذا قال سبحانه يد الله فوق أيديهم فمعناه أن أيديهم تفعل بفعل قوته الروحية التي حركت أيديهم . . ولهذا بطل فعل ما صدر من مُحْدَث عاطل عن الحركة ، وثبت فعل ما صدر من محدث أنه فِعلٌ فعلٍ بقوة الرحمن الذي نفخ روحه في الأبدان فتحركت . فسبحان من شهد على أحقية وجوده وتفرده بأن رفع سبابة الشاهد على ذلك في صلاته قاعدا ، وما قام المصلي وما قعد إلا لتظهر الحركة على محدث قام وقعد ونام ومشى بقوة ربه .

*

« رؤيـــا »

رأيت أخي عماد واقفا وقد ظهرت عورتـه فقلـت له : ألا تستحـي ؟ فثـار وهاج ، وهم بالدخول على أبيه وهو غضبان . فما زلت آخذه بالرفق حتى هدأ . . ثم وجدتني نائما وبقربي سلك مكهرب ظهرت الكهرباء فيه على شكل ضوء أحمر . ثم رأيت سيارة صغيرة تمر بي فتوقفت وركبت فتـاة إلى جانـب السائـق فتعلقـت بالباب ، ومددت يدي ووضعتها على فرج الفتاة فسارت السيارة حتى اصطدمـت بحائط . ثم مشيت حتى وصلت إلى مبنى السفارة المصرية حيث كانت أشجار كثيرة تحيط بها . وهبط من الشجر حراس أشداء قالوا إنهم موجودون لحماية السفارة . ثم ركبت سيارة أخرى استقلها قسيس ومعه قفص فيه عصفور فقلت له أتنسى الناس وتنجي عصفورا . ثم ظهـر بجانبـي ديك ملـون انقض على ديك أبيض فما زالا يتصارعان حتى قتل ديكي .

التأويـــل

عماد هو القوة الفاعلة في العباد على انفراد نشاطا وشهوات ممـا يدل على أن مبعث كل شهوة تلك القوة السارية في الموجودات . فلسنا هنا بصدد الحديث عن خير وشر وفوق وتحت من الموجودات بل نحن أمام قوة عظمى خلقت المخلوقات وحركتها وهيجت فيها البواعث والقوى . ولهذا أخَذْتُ تلك القوة بالحلم والرفـق لأنها طاغية عامة شاملة للمخلوقات ؛ وشُبهت بالكهرباء التي بدوت نائما أمامها . فالإنسان من غير تلك القوة مادة ميتة فاقدة الحراك لا حول لها ولا قوة .

وتعلقي بباب السيارة ووضعي يدي على فرج الفتاة التي جلست إلى جانب السائق يشيران إلى تعلق الروح بالنفس المنفعلة . فركوبـي إشـارة إلى العلاقـة ، وجلوس الفتاة إلى جانب السائق ظهور النفس بمظهر الفاعل الذي مثله السائق في حين أنها مؤنثة منفعلة سالبة ليس لها من الأمر إلا المظهر . واصطدام السيارة بالحائط

انكشاف سر النفس عند اليقظة الصوفية وذلك في مقام سماه الشيخ الأكبر بالتحقق الحيواني ، وهو سر آخر من أسرار المقامات مُنعت المتصوفة من نشره ، وقال الشيخ الأكبر إنه لما مر بهذه المرحلة أصيب بالخرس ، وإن سالكاً آخر مر به فما سكت فخرج عما هو فيه من عروج وما عاد إليه .

ووصولي إلى السفارة المصرية التي كانت تحف بها أشجار هبط منها حراس فتأويله أن السفارة سفير ، ومصر هي مدينة البدن ، فالبدن سفير الروح ، والأشجار حراس ، والحراس قوى ، فيصبح البدن سفيراً متحركاً بقوى ملكوتية فاعلة في حواس شجرة البدن .

وركوبي السيارة ثانية وركوب القسيس الذي كان يحمل عصفوراً في قفص فتأويله أن المسيحية هي الباطن والمعاد وهي تؤمن بالمعاد للروح ، ولهذا ترك القسيس الناس وركب السيارة مع العصفور الذي هو رمز الروح . . والإسلام جسم وروح لا غنى لواحدهما عن الآخر ظاهراً وباطناً ، الله وصوره بعثاً وقيامة وموتاً ونشورا .

والديك الذي قفز من جانبي هو رئيس ، وقفزه من السيارةاعتقاده بأنه قائم بذاته ، بينما هو راكب آلة إلهية هي مركوبة ، ومركبه في بحر الذات الجامعة . ونزاعه مع الديك الآخر إشارة إلى اصطدام الذات الانسانية (الأنا) بالذات الصوفية (الحق) ، وفناء الأولى في الثانية . فلقد كان ديكي ذا ألوان ، أي صفات ، أي وجود صفاتي ، فاندحر أمام ديك أبيض نوراني بطن الصفات والمخلوقات والظاهرات والساكنات والمتحركات .

*

« رؤيـــا »

رأيتني أتحدث مع شخص اسمه رياض وقلت له إنني أضاجع كثيراً، فقال : لا ، فأنا أضاجع مرة واحدة وعند الحاجة فهذا أصح وأقوى .

رياض الجنات أي مقام الصفات . فالحوار هنا بين عين الفعل (الصفة) والفعل (المضاجعة) . وقولي إنني أضاجع كثيراً إشارة إلى وقوع الفعل مرة بعد مرة . أما قوله هو بأنه يضاجع مرة واحدة وعند الحاجة فإشارة إلى ثبوت عين الفعل فهي واحدة وهو عديد . . أما قوله عند الحاجة فلحاجة كل فعل إلى ما يقوم به وهو صفته . . وقوله هذا أصح وأقوى فالأصح هو أن الفعل للصفة لا لصاحب مظهر الصفة وأما الأقوى فلبقاء العين القائمة بالقوة وأبديتها بينما من ظهرت عليه الحركة زائل منفعل شبح . هذا هو تأويل الحلم الذي رأيته كما علمته بتفسير الرمز . ولكنني أحب أن أورد تأويلاً آخر له لم يتم حل رموزه بالطريقة العادية بل لقنت تأويله مشافهة عن طريق نفث الروح . قال الروح : المضاجعة تتم بين فاعل ذكر ومنفعل أنثى . وحديثي عن المضاجعة الكثيرة تجدد الفعل . . وقول رياض إنه يضاجع مرة واحدة هو إشارة إلى عدم تجدد الفعل بذاته بل بغيره ، أي هو خروج من عالم الممكنات إلى عالم الظاهرات ، وعنينا بالممكنات هنا برزخاً بين التفعُّل والفعل ، أي شاطىء بين ماء الذات وأرض البدن . وقوله هذا أصح وأقوى إشارة إلى صخرة اليقين عين الموجودات مفجرة الينابيع،وقوله عند الحاجة إشارة إلى علاقة النجوم كعيون بالظاهرات كممكنات وفي هذا الكفاية .

والغريب أنني عندما كتبت هذا التأويل اعترضت على بعض المصطلحات الواردة فيه . كقوله مثلاً خروج من عالم الممكنات إلى عالم الظاهرات يتناقض مع استخدامي لمصطلح الممكنات . . إذ أنني لا أفرق بين الممكنات والظواهر . ولقد عرضت وجهة نظري على الوحي ولكنه رفض الأخذ بها وأصر على إثبات ما لقنيه . ثم تساءلت عما يعني بالتفعل والفعل وما الفارق بينهما فقال : التفعل فعل مباشر لم يقع بعد ، وهذا من باب المجاز ، لأن الفعل واقع بذاته دون حاجة إلى مجاز سابق . ولم أفهم التفسير بل زاد المسألة غموضاً فذهبت إلى أستاذ في اللغة وعرضت القضيةعليه فتفحص التعريف وقال : هذا غير وارد في اللغة ، فالتفعل مصدر كالتكبر ، وهو يعني وقوع الفعل ، فلماذا جاء في الشرح أن التفعل هو فعل مباشر

وماهو بالفعل ؟ قلت : لا أعلم . وكان جواب الأستاذ النهائي : هذا في اللغة غير وارد ، أما إن كان ممكناً وروده في الفلسفة على ما يبدو من الشرح نفسه فأنا لا أفهم الفلسفة .

واكتفيت بهذا الحد وقررت أن أورد ما شوفهت به بالحرف تاركاً مثلاً على ما أنزل من عالم الغيب فاقني إدراكه . ولعله ينبري من علماء اللغة من يستطيع حل ما ورد فيه من مسائل لغوية . . ففي التنزيل وردت مسائل نحوية غريبة كهذه كقوله سبحانه : وامرأته حمالة الحطب ، وقوله على لسان ضيوف إبراهيم : قالوا سلاماً قال سلامٌ ، وقوله : عيناً يشرب (بها) عباد الله ، وقوله على لسان امرأة إبراهيم : وهذا بعلي شيخا . . الخ . .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في بيت صديق لي اسمه رياض ، ولم أجده هو ، ولكني دخلت غرفة فيها فراشان أحدهما لصديقي والآخر لأبيه وأمه . فاضطجعت في فراش والديه مع أني وددت أن أضطجع في فراشه هو . وكان فوق الفراش سلك كهربائي محمر ، ثم بلغني أن في غرفة مجاورة زوجة أخي واسمها شهيرة .

التأويـــل

قلنا اسم رياض هو الصفات والفراش البدن . والأب الروح الفعال والأم النفس المنفعلة . وغياب رياض غياب الصفات في الفراش أي في البدن . والكهرباء قوى الجسم الفاعلة المدبرة . ووجود (شهيرة) في الغرفة المجاورة معناه أن هذا هو المشهور عن المتصوفة الذين جمعوا الكل (الناس) في واحد (الله) صورة ومعنى ، ظاهراً وباطنا . فليس ثمة داخل الإنسان شيء حتى ولا الإنسان نفسه .

هناك عقل (روح) حامل وجسم محمول ونفس متحملة من هذا وذاك . ولو تدبر أحد عمق هذا القول لقُضي على النظريات الفلسفية كلها من أساسها .

وبالنسبة لقولنا (نفس متحملة من هذا وذاك) فلقد جاء في شرح أرسطو أنه يقرر أن الانفعالات (مثل الغضب والخوف والرجاء والفرح والمحبة والبغض) لا يمكن أن تصدر عن النفس وحدها، ولكنها تصدر عن المركب من النفس والجسم، وأن الإحساس فعل النفس بمشاركة العضو الحاس المعد لإدراك المحسوس كالعين والأذن ، وأن التعقل ، ولو أنه خاص بالنفس ، إلا أنه مفتقر للتخيل ، ولا يتحقق التخيل من غير الجسم . وإذن فجميع الأفعال النفسية في الأجسام الحية متعلقة بالجسم وداخلة في العلم الطبيعي . أما الأولى فيدل عليها أولاً أنه في نفس الوقت الذي يحدث فيه انفعال نفسي يحدث تغير في الجسم . . وثانياً ان المرء قد يعرض له ماهو خليق أن يشعره بالخوف أو بالغضب فلا يخاف أو يغضب ، ثم تجده أحياناً أخرى يهتاج لأهون الأسباب لأن جسمه مهتاج أو متعب . . وثالثاً يمكن استشعار الخوف دون أي سبب خارجي مثلما نرى عند العصبيين والسوداويين ، فإن الهم والجزع ناشئان عندهم من اختلال الجسم . فإذا كان ذلك فواضح أن الانفعالات صورة متحققة في مادة ، ويجب أن يشتمل حدها على العنصرين ، فلا يقال مثلاً على طريقة الجدليين إن الغضب شهوة الانتقام ، ولا على الطريقة المألوفة عند الطبيعيين : إن الغضب غليان الدم حول القلب ، بل يجمع بين الحدين فيقال : الغضب توارد الدم إلى القلب مع شهوة الانتقام .

*

« رؤيـــا »

رأيتني واقفاً على الرصيف الآخر من الشارع الذي يقع على رصيفه الأول مجلس الشعب . وكان عدد من دهاني الأحذية جالسين يدهنون أحذية بصباغ أسود فجاءهم دهان أحذية حموي وأراد أن يجلس بينهم فأبوا عليه .

التأويـــل

دهانو الأحذية قوى الملكوت الجسمية تدبر أمر الجسم (الهيولى) والصباغ الأسود كثافة العالم الحسي . ورفض الدهانين قبول دهان حموي فالتأويل أن حماه تقع بين حمص القلب وحلب الذات ، ورفضهم دليل على عدم قبول الناس فكرة توسط عقل فعال يدير أمورهم . فظاهراً يظن الناس أنهم أحرار يقودون أنفسهم ، وباطناً لاناس سوى الإنسان ، ولا إنسان سوى الله إنسان عين الإنسان صورة ومعنى وعقلا . فالله ما خلق إلا ليعرف ، وما كان ليعرف لو أنه لم يخلق ما يعرف به . فمن نظر إلى الانسان كمظهر فاز ، ومن نظر إليه كمخلوق حر مفكر قائم بذاته فقد هوى . وقال الشيخ الأكبر في تعريف الإنسان : أما إنسانيته فلعموم نشأته وحصره الحقائق كلها ، وهو للحق بمنزلة إنسان العين من العين الذي يكون به النظر وهو المعبر عنه بالبصر ولهذا سمي إنسانا .

*

« رؤيـــا »

رأيتني أمام سارية طويلة وقد تسلقها علم كبير . ثم وجدتني أمام دار كبيرة عجيبة . فبدلاً من أن تكون شبابيكها الخشبية (الأباجور) خارج النوافذ الزجاجية كانت من الداخل وبدلاً من أن تكون النوافذ الزجاجية في الداخل كانت في الخارج . والدار ذات طوابق ومبنية من الطين . ثم ظهرت إبنتي جمانة وأخذت بيدي ومشت معي على طريق صاعدة وأنا أقاومها عبثا .

التأويـــل

رفع العلم إشارة إلى العلم الفرد الصمد الذي هو النهاية من صفات الكمال والجلال ، يصمد إليه في كل شيء . والبيت بيته ، خارجه زجاج ، أي شفاف ، أي

سماء ، أي غيب ، أي مطلق ، أي لا متناه . . وباطنه نوافذ خشبية أي حاجز من نار ونور (راجع تأويلنا للشجرة في ما سبق) . والنار النفس والنور في القلب . والطين الذي بني به البيت الدنيا أو عالم الذر . وظهور جمانة وأخذها بيدي وانطلاقنا في الطريق الصاعدة فهو أخذ نور التوحيد السالك فجاءة ومن غير سابق علم . ومن الغلط أن نقول للناس صيروا متصوفة ، لأنه ما تصوَّف مَنْ تصوّف عن تصوفٍ وإنما عن هداية واصطفاء من الحق ، ولا فرق عند جبار السموات والأرض بين كلب شريد طريد جائع يبحث عن رزقه في الطرقات وبين متصوف قضى عمره في المجاهدات ليكتشف ربه . رب الجميع واحد . ولسنا هنا في معرض تقويم أخلاق بل في معرض استعراض قوى واحد أحد .

*

« رؤيا »

رأيتني في صيدلية صاحبها صديق لي اسمه سليم وقد أخبرني أنه يريد أن يغلق صيدليته . ثم وجدتني قد صرت مديرا لشركة ، وقد ركبني الدين فجمعت الموظفين وأعلنت إفلاس الشركة أمامهم ، وفتحت الصندوق الحديدي وأخرجت سندات دين على الشركة . . وهنا اعترضني موظف وراح يتهمني ويقسو علي في الكلام . فقلت له : أنت منافق ، داهنتني وأنا في خير ، وخرجت علي وأنا في ساعة العسرة . ثم رأيتني أمشي في شارع حتى وصلت إلى بيت عم لي اسمه سهيل ، وهو غني ، ورأيت أولاده في الشرفة يلعبون ويضحكون سعداء . وأمام البيت امتد بحر رحيب أزرق صاف . ثم ركبت سيارة في طريق عريض جعلت تضيق .

التأويل

الصيدلية مكان للاستشفاء ، وتصريح صديقي سليم بأنه سيغلقها معناه أن القلب الذي (سلم) من الشوائب صار سليما لم يعد بحاجة إلى أدوية لافتقاره إلى

أهم دواء ألا وهو نور التجلي . وانتقالي إلى شركة أنا رئيسها معناه أن الشركة شركة البدن أعضاء وحواساً وقلباً وروحاً وعقلاً ونفسا . وإفلاس الشركة إفلاس البدن عند ظهور نور التوحيد . إذ الافتقار اكتشاف ما يقوم به البدن ، وما ثمّ ما يتقوم به البدن إلا روح القدس أو النور المحمدي . أما من أظهر خيانته لي فهو القلب ، والقلب متقلب عند الكشف ، وهذا ما ثبت لدى المتصوفة فأسلموا أمورهم إلى الله مقلب القلوب .

والمرور ببيت عمي سهيل ورؤية أولاده سعداء فهذا هو مقام النجوم عيون السماء ، وماثمّ من مخلوقات سعيدة سواهم ، فهم من سلالة النجم سهيل بدر الكوكب الأوسط الذي يتوسط سماء الموجودات بين فلك الشمس وأوقيانوس حركة الأرض ، وأولاده إشعاعات عنه ، قائمون به ، فاعلون بفعله ، فهم في مستواه ، يقلون عنه فيضا من فيض ، إذ هو فيض أول وهم تعين ثان في الوجود الأزلي .

قال الفارابي : (إذا مضت طائفة فبطلت أبدانها وخلصت نفوسها وسعدت فخلفهم ناس آخرون في مرتبتهم بعدهم قاموا مقامهم وفعلوا أفعالهم . فإذا مضت هذه أيضا وخلت صاروا أيضا في السعادة إلى مراتب أولئك الماضين واتصل كل واحد بشبيهه في النوع والكمية والكيفية . ولأنها كانت ليست بأجسام صار اجتماعها ، ولو بلغ ما بلغ غير مضيق بعضها على مكانها . إذ كانت ليست في أمكنة الظلام أصلا ، فتلاقيها واتصال بعضها ببعض ليس على النحو الذي توجد عليه الأجسام . وكلما كثرت الأنفس المتشابهة المفارقة واتصل بعضها ببعض وذلك على جهة اتصال معقول بمعقول كان التذاذ كل واحدة منها أزيد شديدا . وكلما لحق بهم من بعدهم زاد التذاذ من لحق الآن بمصادفة الماضين وزادت لذات الماضين باتصال اللاحقين بهم لأن كل واحدة تعقل ذاتها وتعقل مثل ذاتها مرارا كثيرة) . وورود البحر الوصول إلى بحر الذات الإلهية ، ساحلها الإنسان قام بها ، وتمخض عن زبدها الذي كان ذرا فتماسك ثم يعود ذرا ، ثم يتماسك في دورات لا نهاية لها . وركوب السيارة الوصول إلى مقام التحميل إذ يرى المتصوف نفسه وجسمه محمولا على محمل فاعل قادر إلهي .

والطريق الطريقة ، ولدينا ههنا إشارة إلى المذهب الشاذلي القائم على الحب . فالشاذلي قال بالحب لأن في الحب أخذا عن نفس وردا عليها ، ومن هنا الانخلاع

والجذب ثم العودة والقيام . وقد صح مذهب الشاذلي عند القوم ولم يصح غيره . فكل إيمان من دون حب عبث وكل دين مع كراهية هراء . أما ضيق الطريق فانتهاء الطريقة إلى اللانهاية القائمة على حافة البحر الأكبر حيث الفناء في بحر الأنوار ونور الصفات الاشراقي . وهنا لابد من الإشارة إلى لطيفة وهي أن الذات المتخفية في عيان وجودي هي تسلسل وجودي من التعينات والمتشخصات ، فهي جُزُر وماء وجبال وأنهار وغابات وأشجار وطيور وحيوانات ودابات وعلى رأسها جميعاً الإنسان مستودع السر ، خليفة الله ، آدم الكل ، استودع فائتمن ، فحمل فاحتمل ، ثم حُمل على مركب الله إلى مستودع الأمان .

*

« رؤيـــا »

وجدتني في غرفة عالية أطل على مكان مظلم ، ثم انتقلت إلى بيت كبير لي منه نصفه ، أما نصفه الباقي فكان غرفا طينية قذرة ملأى بأثاث قديم . وسمعت هاتفا يقول لي إن علي قبول نصف البيت الآخر . ثم وجدتني أمام شجرة عظيمة وأمامها شيخ يريد قطعها فلما سألته عن السبب قال : مادام الطبيب قد أدى مهمته وجمع أجزاء البيت الكبير فلماذا أبقي عليها ؟ وهنا وجدتني أركب سورا وقلت للشيخ إن من الخطأ قطع الشجرة الخضراء المثمرة .

التأويـــل

الجلوس في غرفة عليا والإطلال على مكان مظلم هو إطلال القلب على النفس الحيوانية الشديدة الظلمة . والانتقال إلى بيت فيه غرف قديمة ملأى بأثاث قديم والهاتف الذي قال لي إن علي قبول نصف البيت الآخر فذلك إشارة إلى قوله تعالى : (إن كل لما جميع لدينا محضرون) .[٩] فالكل خلقه ، وماثم موجود إلا هو ، فمن قبله كما هو كان هو نيابة ، ومن استنكر فليقف مع من وقف من شطر الهو .

قال أفلاطون إنه يجد من الغرابة بمكان عظيم أن يكون هناك مُثُل للشَعْر والوحل والوسخ وسائر الأشياء الحقيرة . ثم ينتهي إلى أن هذا التردد إنما يعرض له لأنه يلحظ رأي الناس ولأن الفلسفة لم تستول عليه بالقوة التي يرجو أن تستولي يوماً وحينئذ فلن يشعر في نفسه احتقاراً لشيء .

هذا تصريح أكبر فلاسفة الدنيا إطلاقاً فما ظنك بالعوام من الناس الذين يرون الدنيا وجهي نقيض . إن الموحد ما وحد إلا بدعم قوة عليا أيدته حين البأس حتى اجتاز بحر البرازخ فوصل بحر الحقائق .

والشيخ الذي أراد اقتلاع الشجرة العظيمة بعد أن أدى الطبيب مهمته وذهب فذلك حال من استنكر ظهور (الهو) بمظهر غير مألوف عنده . فالشجرة جامعة من جهة الضوء (الجذع والساق) ومن جهة الظلمة (الجذر) . والطبيب شافٍ بَينَّ الأجزاء كلها فضم أجزاء البيت الكبير إلى بعضها بعضاً ، فنجا الإنسان من الشرك ، وهو أن يشرك بالله شيئاً صغر أم كبر ، عظم أم حقر . فالشيخ رفض ما كشف له ورفضه هو سر قطعه الشجرة .

وإطلالي من فوق السور هو سر الوجود . فالسر سور الوجود مَنْ علاه اطلع فعلم وأدرك ما تحت السور وما في ظل الشجرة الجامعة . والسور حاجز بين هؤلاء وهؤلاء الظلمة والنور ، ولذلك سميت سورة الأعراف من العرف وهو المكان العالي . ومن علم مافي سورة الأعراف من سر لا نطبق قلبه كما تنطبق دفتا كتاب .

*

« رؤيـــا »

وجدتني في حي باب توما وقد أحاطت بي جُدُر عالية جعلت تميل علي وتحاصرني وتتهاوى محاولة قتلي ، وأنا أهرب منها بمعجزة . . ثم وجدتني في ساحة وأمام شخص أعور أعرفه فجعلت أضربه محاولاً أن أفقأ عينه الواحدة .

سقوط الجدران علي ضيق صدري من هذا العالـم الـذي أحاطنـي بمـلايين الجدران التي تسد علي منافذ النور . . هذا العالم الذي ما فتىء يتقدم نحو غايات مادية دنيوية فارشاً دروبها ببسط من حرير . إنه يدعونا ويغرينا ويمنينا ويحثنا على الإسراع والإنجاز . . السيارة والشقة والشاليه والرصيد في المصرف والترف في كل شيء ، في اللباس والطعام والشراب والتفاخر أمام الناس والتكالب على هذه الزينة التي ظاهرها رخام وباطنها سخام وكيف لا وكلما حقق الانسان في جريه على دروب الحياة هدفاً وجد أمامه هدفاً آخر ، وكلما حصل على شيء بعد تعب وجد وكد وجد حمى الحماسة قد فترت وفرحة تحقيق الأمل قد طارت ، وإذا هو قد عاد إلى وهدة الملل واستولت عليه العادة فجردته من ثياب السعادة . . وإذا هو يتطلع حوله وبين يديه ومن خلفه متعجباً مندهشاً ، ثم لا يلبث أن يشحذ همته وسلاحه وينطلق في سبيل تحقيق الهدف الجديد .

الناس ، كل الناس ، هذا دأبهم وديدنهم . مجانين منطلقون في طرقات الحياة الوعرة تملؤهم حماسة جنونية لتحقيق تلك الأهداف الخاوية الزاهية كغـانية عليهـا الحلي والحلل وقلبها ظلمات مكدس بعضها فوق بعض .

هذه هي حياتنا الآن . إننا جميعاً شركاء في هذه الجريمة . إننا نُرضع أبناءنا هذا اللبن المسمّم فنحثهم على الجري وتحصيل الغنائم وتحقيق المكاسـب دون أن نحسب حساباً للقلب وأهدافه والروح ومراميه . لقد أسقطنـا من حسابنـا عالـم السعادة الحقيقية واعتمدنا الدنيا فوقعنا كلنا في هذا الفخ الرهيب .

إن الأوديسا للشاعر اليوناني هوميروس تصف حال الناس المتعلقـين بزينـة الحياة الدنيا وتجعلهم جميعا خرافا يقودها راع جبار ذو عين واحدة اتخذهـا وسائـل ومطايا . إنه جبار السيكلوب المخيف الذي يخرج خرافه في الصباح إلى المرعى ويعود بها إلى كهفه المهول في مساء الظلمات ليشرب وينعم بخيرات الخـراف ثم ينـام . والويل ثم الويل لمن تحدثه نفسه بالخروج على إرادة هذا الطاغية . . فهو قوي شديد البطش لا يرحم . وماهذا الجبار ذو العين الواحدة سوى عالم المادة هذا ، عالـم

الحضارة الحديثة المتمدينة التي لا تعترف بغير المكاسب المادية ، هذا الجبار هو الأعور الدجال والمسيح الدجال الذي تنبأ الرسول عليه السلام بظهوره وسطوته ذات يوم . لقد ملكنا هذا الأعور الدجال أخيراً ، وسلط علينا أسلحته الفتاكة فأصبح معظم الناس تحت رحمة هذا السلطان الذي لا تحد قوته حدود .

ولكن ثمة بطلاً يولد بطلاً وينشأ بطلاً ويرفض الخنوع لإرادة العالم الدنيوي . إنه أوليس الذي جاب البلاد كلها فصارع ذا العين الواحدة والجنية الساحرة التي حولت رفاقه إلى خنازير ، وحاولت إغراءه بتسليط سحر عينيها وشرابها عليه فلم تستطع وصمد أوليس ، صمد أمام إغراء لحاظ عيون حواء الفتاكة وقاومها كما قاوم إرادة العالم . . ثم رضخت حواء لأوليس البطل وأسلمته أمرها وقضى أوليس بصحبتها زمناً ثم تابع رحلته إلى عالم الخلود والراحة مصارعاً كل القوى .

ومن غير هوميروس الصوفي الضرير عن رؤية مباهج العالم الزاهد العبقري قادر على وصف رحلة البطل العَلَم في هذه الدنيا .

أجل لقد تهاوت الجدران علي وكادت تقتلني ولكنني احتلت كما احتال أوليس للخروج من كهف الظلمات ونجحت كما نجح . لقد نجح أوليس بالخروج من الكهف بأن اختبأ تحت كبش مليح هو كناية عن التضحية التي ينبغي على البطل تقديمها على مذبح الحياة . . هذا الكبش هو النفس الحيوانية فمن قاوم هذه النفس ونزعاتها وأهوائها كسر إرادة الأعور وخرج ، فهو المهدي من بين الناس . وما تسمية هذا الأعور بالمسيح الدجال إلا لأنه زين للناس حب الدنيا ففعل مثلما فعل المسيح حين دعا أنصاره إلى عالم السعادة والنور . . ولكن شتان مابين دعوة المسيح الأصيل والمسيح الدجال . وليس إلا نور الهدى وحده الذي يساعد المهدي على التمييز بين المسيحيين: الممسوح بالنور والممسوح بالنار . ومتى انتصر المهدي في معركته انقض على الأعور الدجال ففقأ عينه الواحدة كما فعل أوليس بالطاغية ، وساعد رفاقه من الأسباط والحواريين والصحابة ، وقليل ما هؤلاء ساعدهم على الخروج من كهف ظلمات الحياة الدنيا .

فيا أيها الصحابة والرفاق لا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من رحمته ولا تقولوا

ضعنا في متاهات هذا العالم الكافر المجنون الذي طاش صوابه وركب رأسه وانطلق في الدروب ثوراً هائجاً يبطش بكل من سولت له نفسه مقاومته.لا يارفاق . . قاوموا واصمدوا ولا تغرنكم الدنيا ولا تستسلموا للإغراءات ولا تفاخروا أهل كهف الظلمات ، فلقد لخص سبحانه هذه الدوامة التافهة بقوله : (إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً ، وفي الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) .

*

« رؤيـــا »

وجدتني منطلقاً في السحر إلى دكان صديق لي اسمه صالح . . وجعلت أتفحص في الدكان قرطاً من الموز فما وجدت موزة واحدة صالحة للأكل . . ثم أخرج صالح من جيبه مالاً أعطانيه فسقط منه على الأرض فجعلت ألتقطه وأنا أقول له إنه كان لدي أنا أيضاً مال ولكنني لا أستطيع تحديد قيمته .

التأويـــل

الانطلاق في السحر إشارة إلى قرب طلوع نور التوحيد الممثل بالفجر . وصالح هو العبد الصالح أو الخضر أو نور الوجود الأخضر المستكن في البصيرة والذي علم موسى العقل أو الشريعة مالم يكن يعلم .

وفحصي قرط الموز إشارة صريحة إلى هذا . فالموز الذي هو لب كله رمز المعقولات الكلية المجردة من جزئيات المادة ، ويقال للعقل الذي استوعب هذه المجردات العقل النظري .

واكتشاف أن الموز غير صالح للأكل إشارة إلى وقوف العقل عند ماسميناه في

كتابنا فتح الوجود حد العقل حيث يتبين العقل ههنا المعقولات ولكنه لا يستطيع تجاوزها لمعرفة أسرار الغيب . وقد اعترف أرسطو بوجود هذا الحد ، وقال إن من الضروري تعاون العديد من الفلاسفة وتركيز كل الجهود لسد الثغرات في فلسفته التي كانت أكمل نظام بني في تاريخ العقول البشرية بعد أفلاطون ، وبعضهم يقدمونه عليه أيضا . أما نحن فانتقدناه لأن إلهه ديك منتوف الريش ، ريس على لا أحد ، لأن اللا أحد هو ، فهو رئيس نفسه ، وهذا محال . ثم إنه يقول بتفاوت العلة والمعلول وهذا محال أيضاً لأن من الواضح أن التفاوت يحمل على علة ومعلول وهذا أصح الكلام . وقلنا إنه قال بقدم المادة ولكننا لا ندري لمن ترد المادة ، له ، أي لله ، وهو غير مادي . . أم لها ، أي للمادة ، وفي هذا خروج عن القدم ؟ هذه خلاصة في نقد أرسطو تنبني عليها أبراج من النقد فيما إذا استحكم وتأهل .

وإعطاء صالح لي المال هو نزول العلم الإلهي ، إذ قلنا تأويل المال العلم . وسقوط بعض مال صالح على الأرض إشارة إلى المعقولات الموجودة في جزئيات المادة بالقوة . فكما قال الإمام الغزالي : عالم الموجودات صورة لعالم المعقولات ، وهو معنى قوله تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة) ، فضمير هم مذكر بينما الأسماء مؤنثة ، ونحوياً كان ينبغي أن يقال (عرضها) أي الأسماء . . ولكن الحق جعل ضميرهم دليلاً على المرحلة التي مرت على تشخص المعقولات المجردة في تعينات عيانية هي ظواهر الصفات .

وقولي لصالح إنه كان لدي مال أيضاً ولكنني لا أستطيع تحديد قيمته فإشارة إلى ضرورة هبوط آدم الروح من جنة نور الذات إلى حضيض ناسوت البدن ومصارعته أشباح ظواهر الصفات ليستخلص سر الأسماء الحسنى الممثلة في انتزاع المعقولات وتجريدها من ظواهرها الجزئية . فالمال الذي كان لدي هو المهمة التي قام بها العقل للوصول إلى مرتبة التجريد الكامل التي بلغها أفلاطون وأرسطو . أما المال الذي أعطانيه صالح فهو استخدام ذخيرتي من علم المعقولات لتعليمي أسرار الغيب . وهذا العلم اللدني هو كسر حد العقل وبلوغ درجة الكمال التي وهبت للعارفين بالله .

قال الفارابي في العارف بالله : إنما يكون ذلك الإنسان إنساناً قد استكمل

فصار عقلاً ومعقولاً بالفعل قد استكملت قوته المتخيلة بالطبع غاية الكمال ، وتكون هذه القوة منه معدة بالطبع لتقبل إما في وقت اليقظة أو في وقت النوم عن العقل الفعال الجزئيات إما بنفسها أو بما يحاكيها ثم المعقولات بما يحاكيها . . وأن يكون عقله المنفعل قد استكمل بالمعقولات كلها حتى لا يكون ينفي عليه منها شيء وصار عقلاً بالفعل . فأي إنسان استكمل عقله بالمعقولات صار عقلاً بالفعل ومعقولاً بالفعل ، وصار المعقول منه هو الذي يعقل ، حصل له حينئذ عقل ما بالفعل رتبته فوق العقل المنفعل أتم وأشد مفارقة للمادة ومقاربة من العقل الفعال ويسمى العقل المستفاد ويصير متوسطاً بين العقل المنفعل وبين العقل الفعال ، ولا يكون بينه وبين العقل الفعال شيء آخر ، فيكون العقل المنفعل كالمادة والموضوع للعقل المستفاد ، والعقل المستفاد كالمادة والموضوع للعقل الفعال .

*

« رؤيـــا »

رأيتني أمشي في سوق ساروجة حتى وصلت إلى معهد التربية والتعليم . . ثم وجدتني مضطجعاً إلى جانب امرأة اسمها نجوى أمد يدي إلى عورتها ، وكانت المرأة تتحدث إلى حماتها فترتبك كلما حركت يدي ويضطرب صوتها . ثم نظرت إلى ساعتي وقلت لزوج المرأة واسمه صبحي ان قم وهيء لي طعام الإفطار . ثم رفعت رأسي ونظرت من الشباك فإذا مطر شديد يهطل ، وعدد من المقعدين العجز قد حملوا على مقاعد خشبية وفي أحضانهم أولاد صغار .

التأويـــل

يقال عند العوام أن أصل تسمية سوق ساروجة بهذا الاسم يرجع إلى فعلين هما سار وجاء . وتتحدث قصة عن عبد مملوك حج سيده فطهت مولاته يوماً كوسا فاشتهت أن يأكل زوجها الحاج منها فقالت للعبد مازحة هل تحمل إلى سيدك شيء

من هذا الطعام فقال نعم . . وسكبت السيدة في وعاء حتى امتلأ فحمله العبد وذهب العبد في السوق ثم رجع وأعلن أن سيده أكل من الطعام وأنه يشكر لزوجته ، ولم تحمل السيدة كلام العبد إلا على محمل المزاح بالطبع ، وعاد السيد من الحج ليخبر زوجته بأن خادمه ظهر فجأة في الحج واقترب منه وقدم إليه وعاء الكوسا وهو ساخن فأكل منه وأطعم الصحاب ثم حمل العبد الوعاء وعاد .

والقصة رمزية مصاغة على نسق صياغة حي بن يقظان وسلامان وأبسالا وغيرهما من القصص الفلسفية الصوفية للإشارة إلى أن السفر الحقيقي لا يحتاج إلى قطع بواد وقفار وبحار ، بل الرحلة ذاتية متى قطعها العبد الصالح النية حج وأكل من طعام الرب الأقرب إليه منه . والرحلة تحتاج إلى تهذيب أشير إليه بمعهد التربية والتعليم وهو المرور بمراحل الصبر والشكر والتوكل والرضا .

أما اضطجاعي بجانب امرأة اسمها نجوى فهو إشارة إلى ظهور نور التوحيد لا عليّ ولا فيّ ولكن بي باعتبار اسمي محمد أي النور المحمدي الجامع . ومد يدي إلى عورتها واضطرابها في حديثها ، وربط هذا باسم المرأة وهو نجوى فهذا كشف للفاعل الحقيقي في الانسان الجامع سواء من حيث كونه ذاتاً ناطقة أو نفساً منفعلة قابلة المُعبَّر عنها بحواء الأنثى . فاليد الفعل ، ووضعي يدي على عورتها واضطرابها هو ما سماه أرسطو بالعقل الفاعل ، الفاعل في العقل المنفعل .

هذا على مستوى الذات الناطقة المعبر عنها في الرؤيا بالحديث بين المرأة وحماتها . أما كونها أنثى فههنا يتجه الرمز إلى النفس الحيوانية ذات الصلة بالطبيعة الجسمانية . فهنا مجال العقل الفاعل ليس مجرد تجريد المعقولات من الجزئيات فقط بل تعديه إلى مد النفس المنفعلة السالبة بقوة ذكرية روحية فاعلة . واكتشاف هذه الحقيقة عبرت عنه الرؤيا بالساعة ، والساعة قيام الساعة أو القيامة ، والبعث من القبور هو رؤية الأموات سائرون أو قاعدون . فكل مخلوق حركته ليست من ذاته ميت ، وليس ثمة من متحرك ومحرك حي سوى الروح ، ظاهراً وباطناً ، وهو ما شاهدته من شباك(مشكاة) القلب حيث رأيت الناس عجزاً مقعدين محمولين على مقاعد خشبية ، وفي أحضانهم أولاد صغار إشارة إلى ضعفهم وقلة حولهم وطولهم . والساعة التي أعلنت السابعة إشارة إلى السبعة الذين يتكون منهم عالم العيان وهم

الروح والقلب والنفس والحس المشترك والخيال والذاكرة والفكر . فهل ثمة خارج هذا الفلك العياني فلك ؟!

*

« رؤيـــا »

رأيت رجلاً اسمه مأمون هو صاحب دار للسينما اسمها دنيا ، وكان للرجل محل قرب ساحة السبع بحرات . فلما خرج من المحل لحقت به وشكوته حالي ، إذ كان الرجل غنيا . فقلت له إني مؤلف وإن في خزانتي ثلاثين مخطوطة تنتظر الطباعة من عشرين عاما ولا مال لدي لطباعتها ، فلو أعطاني خمسة آلاف ليرة فقط فإنني أستطيع أن أطبع كتاباً واحداً ثم أبيعه وأطبع بثمنه كتاباً آخر وهكذا . وبينا أنا أحدث الرجل رأيت فتاة تقترب منه وكانت الفتاة تطلب عملاً فوعدها بذلك .

التأويـــل

مأمون هو من ائتمن على سر الخلق فكان أميناً وهو جبريل أو النور المحمدي، ووجود محل له في السبع بحرات إشارة إلى تفجر ينابيع الحياة منه . وكونه صاحب سينما دنيا معناه أنه صاحب ملكوت الجسم الكلي (الدنيويات) . وقولي له إن لدي مخطوطات في خزانة منذ عشرين عاما ولا أملك مالاً لطباعتها فلو أقرضني هو مالا لأطبعها فذلك إشارة إلى العلم الأزلي المطلق الموجود بحالة قوى كامنة وهو بحاجة إلى دنيا لإخراجه من كونه بالقوة إلى كونه بالفعل . وطلبي المال من مأمون هو تأكيد ذلك ، فمن دون عالم العيان الذي رمزت إليه الرؤيا بطباعة المخطوطات لا يمكن الوصول إلى عالم العيون التي رمز إليها بالمخطوطات . أما توظيف مأمون للفتاة ، فالفتاة النفس المنفعلة ، وتوظيفها إعطاؤها مالاً أي علماً ؛ فلزم لذلك أن يكون صاحب ملكوت الجسم وسطاً يحمل من جهة المعقولات ويحمل من جهة الجسمانيات . وهذا الفلك هو آدم المتوسط بين الكثافة واللطافة ، إذ آدم السمرة ، والسمرة لون وسط بين ظلام الحسيات وشفافية المعقولات ، بين النار والنور .

« رؤيـــا »

وجدتني جالساً بين امرأتين، اسماهما نادية وهالة . ثم دخلت المرأتان غرفة رجل يعمل طيارا . وكان لي مع الطيار موعد تأخرت عنه فأرسل في طلبي، فلما دخلت عليه وجدت المرأتين تجلسان عن يمينه وشماله . وبدا الطيار غاضباً فتشاجرنا ، وخلال شجارنا تحول هو إلى رجل آخر .

*

التأويـــل

نادية نداء وهالة النور، وبإضافة الاسمين إلى بعضهما بعضاً يصبح المعنى نداء النور أو دعوة الحق ونفحته . وتأخري عن الموعد مع الطيار وإرساله في طلبي هو اعتماد الانسان على مالديه من العلوم النظرية والعملية دون الغيبية . والطلب مشيئة الحق سبحانه في اصطفاء من يشاء فضلا . وصراعي مع الطيار الذي صار شخصاً آخر فهو انكشاف عالم الغيب أو إضاءة زيت مصباح القلب الانساني ، ولذلك انقلب الطيار الذي هو طائر ، أي مرتفع عن الأرض البدني الى سماء الروح ، انقلب إلى شخص آخر . وتأويل الانقلاب وجود السر داخل الذات المتعينة جسما . ولذلك قال الشيخ الأكبر : لا ملك ولا جان بل الكل في الانسان . وصراعي معه هو محاولة تقبل هذه الحقيقة التي تصدم المؤمن الذي خاض بحار الحقيقة والذي كان يقلب وجهه في السماء باحثاً عن قبلته الروحانية وجنته السماوية فإذا القبلة كعبة القلب الموجودة في حرم الصدر العتيق من نار النفس الحيوانية . إن هذا الكشف لأمانة ثقيلة حملت قلوباً أعدت في الأزل لحملها . قال سبحانه : (هو الذي أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) . والأودية القلوب وكل واد له سعة . ولو كشفت الحقائق لغير ذوي العزم لغلبوا على عقولهم أو كفروا . وقال عارف : من كوشف بصفات الجمال عاش ومن كوشف بصفة الجلال طاش . وقال عليه السلام : سألني ربي فلم أستطع أن أجيبه ، فوضع يده بين كتفي بلا تكييف

ولا تحديد فوجدت بردها ، فأورثني علم الأولين والآخرين وعلمني علوماً شتى ، فعِلْم أخذ علي كتمانه ، إذ عَلِم أنه لا يقدر على حمله أحد غيري ، وعلم خيرني فيه ، وعلمني القرآن فكان جبريل يذكرني به ، وعلم أمرني بتبليغه إلى الخاص والعام . وقال أبو هريرة : حفظت عن رسول الله وعائين أما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم .

*

« رؤيـــا »

رأيتني واقفاً أمام شباك أرى فيلماً سينمائيا . وعند الاستراحة خرج أخي فؤاد من الصالة وابتاع لولديه سكاكر وشيكولاته وكعكا . ودخلت الصالة ثم صعدت إلى الطابق العلوي علني أعثر على مكان لي فلم أجد . ولما عدت إلى الصالة وجدتها ممتلئة كذلك ، فعدت إلى مكاني قرب الشباك . وتصادف أن وقفت أمامي امرأة زنجية جعلت أحتك بها فالتفت زوجها إلي فاعتذرت إليه ، فسألني هل أنا من المخابرات فقلت لا ولكنني موظف في وزارة الاعلام . فقال الرجل : منذ ثلاثين سنة وزوجتي مظلومة تتعقبها المخابرات وهي بريئة وكنيتها غزالي فقلت له إن في وزارتنا موظفاً كنيته غزالي وسأكلم أباه في أمر زوجتك .

التأويـــل

قلنا السينما الدنيا ، ووقوفي أمام الشباك القيام في مجال النفس الدنيوية تحت القلب . والاستراحة وظهور فؤاد هو مقام التقوى حيث يتقي العبد ربه بعدم تشنيته فيظهر فؤاد القلب غنياً بصفاته يشتري مايحلو له من شيكولاته العقل وسكر الصفات وكعك الأخلاق الحسنة لأولاده القوى الروحية والنفسية .

وصعودي إلى الطابق العلوي عروج إلى الحضرة الأحدية حيث توجد

الصفات في باطن الذات العلوية المتكثرة عيانا . . فلا مجال هنا للتشخص وإنما الكل في حضرة الأسماء الحسنى الداخلة في عالم الغيب أي الغياب عن عالم المادة .

وعودتي إلى الصالة حيث أخي فؤاد هي العودة إلى السكر بالصفات المعنوية والضياع في الكثرة الوجودية الممحوقة من الوجود العياني . فإنما نحن هنا بصدد حضرات غيبية أسمائية وصفاتية عينية .

وعودتي إلى الشباك الرجوع إلى الخلق بعد شهود الحق . ووقوفي خلف الزنجية ممارسة قوى النفس العصبية والشهوية والاحتكاك بها هو التبحبح في هذا المقام المسمى بالوسع .

وشكوى زوج الزنجية إشارة إلى رفع الضر عن النفس التي رفع عنها حصر الخلوة . فلقد شكا الزوج من المخابرات أي من التجسس على قوى النفس الموجودة أصلاً لصالح الانسان . وقولي إني من وزارة الاعلام إشارة إلى أن النفس وانوجادها وقواها هي مركب ولوحة لظهور العلم عليها ، فليس ثم إلا مدرسة ومدرسون وطلاب وخدم وحجّاب . والكون كله كونه ، ولهذا قلت إن في وزارتي موظفاً كنيته غزالي ، والغزال مثال الحسن والجمال .

وهذا الجبل المسمى بالعز بعد القهر هو للعارفين وحدهم ، فهم ظباء سرحوا في هذه المرابع يجنون ما يشاؤون من شهي ثمرات المعارف ولذائذ الأطعمة والأشربة والنكاح . فنفسهم مطية إلهية لهم لا جناح عليهم فيما ورثوه عن ربهم من متع بعد حصر وجهاد داما زمناً طويلاً .

*

« رؤيـــا »

رأيتني مت ثم وجدتني بجانب حديقة حيث كان أولاد يلعبون بالكرة ، ثم دخلت بيتاً فرأيت رجلاً كبيراً نائماً ، ثم خرجت من البيت فإذا أنا في الغوطة وقد أخذني شعور بالغبطة لا يوصف . ثم وجدتني أطل من ناحية في شرقي المدينة حيث كان قبري هناك ، ووجدت الناس الذين شيعوني يتجولون هناك وقد ظنوني مت .

الموت موتان ، موت فاعل وموت منفعـل . فالموت الفاعـل مفارقـة والموت المنفعل اضمحلال وفناء . والموت الأول روحاني ، والروح خالد لا يفنى إنما يفنى البدن مركبه ، فهو قبطان إن فني مركبه انتقل إلى مركب جديد . أما الموت المنفعل فهو أشبه بالآلة البخارية للمركب تفنى بفنائه ، فهي قواه ، ولكنها مرتبطة به ظهوراً وغيابا . والموت هنا لصاحب مقـام الـروح الفـاعل أو العقـل المستفـاد كما سماه الفارابي لا الروح المنفعل أو ما سميناه النفس الحيوانية .

ومروري بالحديقة ورؤيتي الأولاد يلعبون هو المرور بالبرزخ الفاصل بـين عالم الغيب وعالم الشهادة ، وهو مقام مجازي القصد منـه كشف قوى الصفـات الفاعلة عن طريق الروح الفاعل ، ورمز إلى هذه القوى بالأولاد الـذين يلعبـون بالكرة قرب الحديقة أي جنينة أي جنة الصفات .

ولئن بدا في هذا شيء من التعقيد فليس القصد كذلك ، وإنما لحصر المسألة في قوى تظهر وتغيب بظهور الجسم الجزئي وغيابه . ودخولي البيت ورؤيتي الرجـل الكبير النائم فالرجل هنا هو من مقام عيون الملأ الأعلى ، نجم أزلي فائض عن النور الأزلي له ظهور وغياب . أما ظهوره فشهوده ، وأما غيابه فبقـاء روحـه في حالـة سكون مطلق ولكنه عيني مشخص روحياً لا عيانياً ولكنها حالة معطلة القوى لأن القوى هنا لا بد أن تستمد من مركب البدن .

والخلاصة أن القبطان دون سفينة عاجز ، لكنه قبطـان جاهـز للقيادة متـى وجدت السفينة . وحالة الـروح المفـارق الـذي هو من مقـام الملأ الأعلى كحـال القبطان الذي غادر سفينته لينام في بيته ، فهو موجـود مفقـود ، حي روحياً ميت جسميا .

وخروجي من ناحية الغوطة وشعوري بالغبطة هو حالة الروح المفارق العاطل عن القوى لكنه سابح في هيام روحاني حبّي لا يمكن أن يرقى إليه وصف . وجاء في الحديث القدسي : أعددت لعبادي مالا عين رأت ولا أذن سمعت . فإن قيل كيف

يكون الروح نائماً وعاطلاً عن القوى وحياً سعيداً فالجواب أن هذه المسألة لا جواب لها ، إذ أن حالة الروح حالة غير بيانية أي لا يمكن أن تدخل ضمن نطاق تعبير الحرف .

قال الفارابي : تصير النفس من حد الكمال إلى أن تستغني عن المادة فتحصل متبرئة منها فلا تتلف بتلف المادة ، ولا إذا بقيت احتاجت إلى مادة . فإذا حصلت مفارقة للمادة غير متجسمة ارتفعت عنها الأعراض التي تعرض للأجسام من جهة ماهي أجسام فلا يمكن فيها أن يقال عليها الأقاويل التي تليق بما ليس بجسم ، وكلما وقع في نفس الانسان من شيء يوصف به الجسم بما هو جسم فينبغي أن يسلب عن الأنفس المفارقة ويفهم حالها هذه وتصورها عسير غير معتاد .

ومجيئي من ناحية شرقي المدينة ولقائي الذين شيعوني وقد ظنوني مت فتأويله أن شرقي المدينة إشارة إلى الذات أو الروح ، وشاهدة القبر الذي غاب فيه الجسم تشهد على خلود الروح الكلي الفعال إضافة إلى عيونه نجوم السماء الذين هم أعوانه .

*

« رؤيا »

رأيتني في ساحة اسمها الحريقة ، والناس في هرج ومرج ، ولقد استوقفني جنود وطلبوا هويتي فقلت لهم ليس معي هوية ولكن لدي دفتر خدمة علم فيه صورتي . ثم وصلت إلى سور من الأسلاك الدقيقة المتشابكة ، ورأيت خلف السور فتيات عاريات الصدور . وسمعت هاتفاً يقول إن البنات عريت صدورهن رغبة للناس . فتسلقت السور والتقيت صديقاً لي اسمه أحمد الغفري وقد فتح محلاً لبيع التحف الشرقية كالأواني النحاسية المنقوشة وخشب مطعم بالصدف . ثم وجدتني في سوق لبيع السجاد القديم وقلت في نفسي ليتني أتمكن من شراء سجادة واحدة لكنني لا أستطيع .

الحريقة إشارة إلى القلب الذي احترق بنار التوحيد، تلك النار التي جذبت موسى القلب إلى الحق فخلع نعليه نفسه وجسمه . وسؤال الجنود عن هويتي فالهوية الماهية أو (ماهو) وهي حقيقة الحق . وجوابي أن ليس لدي هوية ولكن دفتر خدمة علم فيه صورتي فالإشارة هنا إلى العين التي ظهرت بها وهي الحق العياني ، وقولنا هذا مجاز إذ الخلق تقوّم بالحق .

والسور فاصل بين السر والعلن ، وتسلقه كشف سر الصفات ، وخلفه ظهرت صدور فتيات عاريات أي الصفات . وجاء في الكتاب : حور مقصورات في الخيام (أي في خيام الجسم المطلق) . . فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن (أي لم تنل منهن طبيعة الجسم القابلة للانحلال والفساد) إنس قبلهم ولا جان . والإنس العيان الظاهري والجان القوى الباطنة من حس وخيال . وههنا لطيفة وهي أن قوى الحواس الباطنة تدل على المعقولات فهي جسر ممتد إليها ، ولكن هذا الجسر قائم على حواس خارجية فهي محملة على محمول ، والمحمول الثاني محمل على محمول أساسي هو (الهو) النوري فوجب رد ماظهر إلى ما بطن وعكس الآية بحيث يصبح المصدر **الصفاتي ظهراً لهو بَطَن الخلق. فمن جهة فهي ظاهرة ومن جهة فهي خافية،** وخفاؤها من خفاء الحق وظهورها ضروري لظهور الحق .

وأحمد الغفري النور المحمدي الشفيع ، وكونه صاحب محل تحف نحاسية وخشب مطعم بالصدف فهذا أصل الشفاعة . فمن حيث الحوض فهو عام ومن حيث الشفاعة فهو خاص . فحوضه كوثر مدّ عيون العالم كلها بماء الحياة ، والماء أصل العالم ، فوجب رد العالم كله إليه ، فلهذا أثر في النحاس ونقش فظهرت الرسوم المحفورة أي الصور التي طبعت في المادة الهيولانية . . وكذلك تطعيمه الخشب بالصدف فهنا امتزج النار (الخشب) بالنور (لون الصدف) فظهرت العناصر وهي أصل العالم وكلها مردودة إليه . وشفاعته في ماهيته ، إذ ماهيته جماعية يوم القيامة . . وكيف لا وهو أول من تنشق عند الأرض يوم القيامة لأنه نورها ، وقد قال سبحانه : (وأشرقت الأرض بنور ربها) .

فالمغفرة شملت وعمت ، والمغفرة الخاصة هي لأهل الصفوة المخلصين وهؤلاء بلغوا مقام التوحيد الذاتي بعد الصفاتي ، وهو ما عبر عنه بالسجاد القديم

الذي لا يمكن شراؤه ، أي لا يمكن الحصول عليه أو الوصول إليه ، لأنه نور قائم بذاته غني عن العالمين ، الأسمائي أو السمائي والصفاتي أو العياني الأرضي .

*

« رؤيـــا »

وجدتني قد صرت المسيح ، وقد أقبلت على مدينة القدس فخرج الناس يستقبلونني فحييتهم ثم خطبتهم قائلاً : ياأهالي جيروسليم،ثم وجدتني في قاعة كبيرة أخطب فقام زميل لي ملحد اعتاد أن يجادلني ويكثر جدالي حول وجود الله ، فقلت له : قف أمام اللوح واكتب أي رقم تريده . ففعل فأضفت بصوت آمر : واكتب تحته رقماً آخر وليكن كبيرا . فكتب فصحت بصوت كالرعد : ياهو . . فحمل زميلي من أول القاعة إلى أقصاها ووجد نفسه أمام لوح آخر وقد كتب عليه حاصل ضرب العددين ، فهلل الناس وكبروا وبهت زميلي الذي أعاد ضرب العددين فوجد الحاصل مطابقاً لما على اللوح . . ثم خرجت إلى حشود من الناس أحاطت بالقاعة فجعلت أحثهم على الايمان فاحمرت وجوه واسودت وجوه ، وانتبهت من نومي وأنا أردد يا أهالي جيروسليم .

التأويـــل

هذه الرؤيا إشراقية نورية ذات قيمة خاصة . وفي الحديث أن النبي عليه السلام بشر بعودة عيسى إلى الأرض وقال إنه سيقتل الخنزير ويكسر الصليب . وحديث النبي دليل على صحة ما قالته المتصوفة حول إمكان عودة أرواح الملأ الأعلى إلى الأرض لتؤدي مهاماً خاصة . ونحن لسنا هنا بمعرض الحديث عن نظرية تناسخ الأرواح أو تقمص الأرواح وما تطرحه من آراء حول الثواب والعقاب ولكننا نتحدث عن كلمات الله المباركة التي هي نوابه وخلفاؤه في الأرض يفعلون ما يؤمرون .

وظهوري أنا على أنني المسيح هو تشخص أو تعين لروح من هذه الأرواح العلوية . أما ظهوري في القدس فله سر ولطيفة . أما السر فهو التحول الذي سيقع **في الزمان للمسيحيين الذي يؤمنون بالمسيح حق الإيمان، وقد رمز إلى هؤلاء بأهالي** القدس ، والقدس مقدسة عن أن يصيبها الزمان بالشوب والانحراف . وذكري لهم أنهم أهالي جيروسليم لا القدس فهو لتأكيد أهمية كون المسيحيين الصادقين أرواحاً من طبقة معينة هي الأرواح التي رافقت ظهور المسيح وآمنت به واتبعته ولقيت من العذاب والاضطهاد بسبب إيمانها ما لقيت .

والمعجزة التي قمت بها أمام الملحد فهي رمز للروح القدس الذي سيدل على **المسيح الحقيقي الذي سيبعث ، إذ كم ظهر في التاريخ من مسيح دجال أراد إضلال الناس تنفيذاً لمآرب دنيوية .**

أما لطيفة الرؤيا فهي تأكيد صحة الحديث النبوي الذي بشر بعودة عيسى إلى الظهور العياني . فمهما دجل الدجالون وحاول المستعمرون استثمار هذه الإرهاصات النورية تحقيقاً لأهداف رخيصة فإن الحقيقة تبقى محفوظة ومصانة . فالمسيح آت لا ريب في ذلك ، ولا يعلم وقت ظهوره ولكن النبي أشار إلى آخر الزمان .

أما ظهوره بي فذلك ركز للتشخص النوراني كما قلنا ، ولا فارق في المنزلة بين أرواح الملأ الأعلى رغم أن الله فضل بعض النبيين على بعض ولكنه لم يفرق بين أحد منهم . فالتفضيل من باب العلم الوهبي والدور الذي تعين على النبي تنفيذه . أما في الحقيقة النورانية فهذه الأرواح من طبقة واحدة ، ولذلك قضي على المفاضلة عند زمان الابتعاث فابتعث المسيح بي .